

"افتح يا سمسم": برنامج مشترك بين المملكة العربية السعودية، والعراق، والكويت، والإمارات العربية المتحدة، وقطر، والبحرين.



جانب من مبنى قصر العظم الذي يعد من المعالم الأثرية في دمشق .



بقلم: الدكتور محمد أحمد العزب

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى سنن القوانين التعبيرية التي راضها القوم ووصلوا فيها الى حد امتلاك قمة البيان والابداع ، فلماذا اذن كان تفسير القرآن في هذه المرحلة الباكرة التي لم يفقد فيها العربي لسانه بعد ؟ ولماذا تواترت جهود المفسرين في هذا الاتجاه على تعاقب العصور والأجيال حتى الآن ؟

ربما يطرأ مثل هذا التساؤل في أذهان من يتصدون لتأمل حركة الفكر الاسلامي في نشأتها وتطورها على السواء ، لأنه اذا جاز أن يفسر نص ما لأجيال خالفة تقطع ما بينها وبين طبيعة المعجم أو طبيعة التعبير في فجر بواكيرهما الأولى ، فقد لا يجوز أن يفسر مثل هذا النص لجيل شهد مولد نزوله وتلقيه ، ومارس امتلاك القيم المعجمية والتعبيرية التي جاء هذا النص وفق قوانينها وضوابطها جميعاً ..

ولكن مثل هذا التساؤل يمكن الرد عليه بلا اعنات ، فليس كل كلام بلغة قوم يمكن أن يكون مفهوماً بالضرورة من هؤلاء القوم عامتهم وخاصتهم ، لأن الطبيعة لم تمنحنا قدراً متساوياً من الذكاء والوعي بحقائق الأشياء ، ولأن من قوانين الابداع العالي في كل اللغات أن يشع أكثر من معنى وأن يوحي بأكثر من احتمال ، وأن يترك في كل فكر أثراً مغايراً للأثر الذي تركه فيما عداه .. والقرآن الكريم ليس مجرد ابداع متسم بالرحابة والعمق والارتفاع ، ولكنه ابداع الهي معجز يقف على ربوة التفرد بلا نظير ، في قيمه الشكلية وقيمه المضمونية على السواء ، فبديهي اذن أن يترك في كل فكر أكثر من أثر ، وأن يشع على كل ذات أكثر من انطباع ، وأن يوحي الى كل عقل بأكثر من معنى وأكثر من احتمال ، وهذا هو المعنى البلاغي لكون القرآن كتاباً خالداً لا يجف عطاؤه البياني ، ولا يذبل ايحاؤه الفني .

يضاف الى ذلك أن معاصرة نص من النصوص لا يمكن أن تكون حداً حاسماً في استيعاب كل أسرار هذا النص ، لأن اللغة عالم مليء بالكنوز اللفظية والتعبيرية جميعاً ، وليس في طوق انسان أن يمتلك كل أسرار هذه اللغة قاموساً وتعبيراً بحيث لا تند عن ذاكرته شاردة من هنا أو واردة من هناك ، واذن فمن الطبيعي أن يجبه القرآن الكريم العرب ، حتى الصحابة منهم ، ببعض ما لا يلمّون به على المستوى اللغوي ، فضلاً عن مستويات التعبير وأسرار الغيوب وقوانين العلوم وحقائق الكون التي هي بعض محتواه الالهي المعجز العظيم .. سئل عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، عن قوله تعالى : «**وفاكهة وأبّا** » ما الأبّ؟ فقال عمر: نهينا عن التكلف والتعمق .. وروي عن عمر أيضاً أنه كان على المنبر فقرأ : « **أو يأخذهم على تخوف** » ثم سأل عن معنى

التخوف ، فقال له رجل من هذيل : التخوف عندنا التنقص(١)..وروي أن علياً بن أبي طالب ،كرم الله وجهه سئل : هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله ؟ فقال : « لا والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، ما أعلمه ، الا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن... »(٢) . وهذا دليل قاطع على تفاوت الصحابة في فهم الظاهرة القرآنية .. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتى اعرابيان يتخاصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها..أي ابتدأتها(٣) ... وروي عن ابن عباس كذلك ، قال : «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه وقال : لم يدخل هذا معنا وان لنا أبنـــاء مثله ؟ فقال عمر : انه من أعلمكم . فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم ، فما رأيت أنه دعاني يومئذ الا ليريهم . فقال : ما تقولون في قوله تعـــالى : « **اذا جاء نصر الله والفتح** » ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً . فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عبـــاس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أعلمه الله له . قال : اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك « **فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** » فقال عمر: لا أعلم منها الا ما تقول(٤).

وهذا دليل آخر على أن الصحابة لم يكونوا على مستوى واحد في فهم اشارات القرآن الكريم ومدلولاته البليغة ، مما يؤكد مضمون القضية التي أسلفنا القول فيها ، وهي أن معاصرة نص من النصوص لا يمكن أن تكون حداً حاسماً في استيعاب كل أسرار هذا النص ، لأن مدارك البشر متفاوتة من جهة ، ولأن اللغة ، معجماً وتركيباً ، أكبر من طاقة أي كائن في أي عصر من جهة أخرى .. فاذا أضفنا الى ذلك حاجة الأمة الاسلامية الى معرفة أسباب النزول وتواريخ الأحداث ومحال الوقائع بعد تراخي الزمن وانقضاء جيل شهودها . عرفنا الى أي مدى تبدو حـــاجة المسلمين الى التفسير لازمة وضرورية وجازمة .

ولأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعرفون هـــذه الحقيقة الناصعة ، فقد كانوا يحفظون من القرآن الكريم بقدر ما يستوعبون أو يخيل اليهم أنهم قد استوعبوا منه ، لا يبرحون السورة أو الآيات القليلة حتى يتم لهم استظهار متنها وفقهها جميعاً ، ربما لأنهم كانوا يعرفون ان القرآن منجم مليء بالكنوز ، يعطي ، بلا حدود ، كل من تأمل أسراره واعجازه ولم يكتف بحفظ آياته واستظهار كلماته ، وربما لأنهم كانوا يؤمنون بأن الاسلام ليس مدرسة أدبيـــة كل ما يعنيها أن تحشد عقول تلاميذها بنصوص محفوظة من هنا أو من هناك ، وانما هو دين الهي ، كل ما يعنيه أن يربط الأرض بالسماء ، والانسان بالله ، والقول بالعمل ، فأقبلوا على القرآن يستظهرون آياته وكلماته ، وعلى الحيـــاة يحاولون أن يترجموا في جنباتها القرآن الى واقع تاريخي ، والكلمات الى جدل يومي ، والمضامين الى سلوك انساني ، فكان ذلك مدعاة الى كثير من التريث في حفظ المزيد حتى يستحيل الذي حفظوه ، أولاً ، الى واقع معاش : قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين يقرأون القرآن كعثمان ابن عفان وعبدالله بن مسعود ،رضي الله عنهما ، وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي ، صلى الله عليه وسلم ، آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل .. وقال أنس : كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد في أعيننا .. وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثماني سنين ، وذلك أنه كان يحفظ ولا ينتقل من آية الى آية حتى يفهم(٥).

وللتفسير القرآني مراحل تدرج فيها ومر بها طوراً بعد طور ، فالمرحلة الأولى في عصر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وصحابته .. والمرحلة الثانية ، في عهد التابعين .. والمرحلة الثالثة ما بعد عصر التابعين ، أو منذ بدأ التدوين للعلوم الى يومنـــا هذا(٦) ..

أما في المرحلة الأولى : فقد كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، هو المنبع الأول الذي يغترف منه من شاء فهم القرآن وتفسير آياته ، لأن النبي هو الاطار الآدمي الذي أفرغ الله في قلبه المحتوى القرآني ، بلغة عربية يمتلك النبي ناصيتها تماماً ، وبموثق مؤكد من الله لنبيه أن يوضح له أسراره ، ويبين له شوارده : « **فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه** »(٧) . فهو بالضرورة يفهم حقائق القرآن جملة وتفصيلاً ، ليحقق معنى نبوته ورسالته ، فليس يمكن أن يكون نبي غير فاهم لدستور رسالته التي يدعو اليها ، أو غير واع بمضمون ما يقاتل في سبيل نشره وتطويع كل البشر لقبوله واعتناقه . غير أن هناك قضايا ، مما طرحه القرآن ، وقف النبي حيالها موقف الاحالة فيها على الله ، ولم يستطع أن يقول فيها بشيء ، كالروح ، والقيـــامة ، والمصير ، ولسنا نرى في هذه الاحالة لوناً من مصادرة حتمية

---

(١) كتاب الموافقات – ج ٢ ص/٥٧ – ٥٨ .(٢) صحيح البخاري – باب الجهاد .(٣) انظر : الاتقان في علوم القرآن – للسيوطي ج/٢ – ص/٤ .(٤) راجع : علم التفسير – للدكتور محمد حسين الذهبي .(٥) راجع فجر الاسلام ، وضحى الاسلام ج٢ لأحمد أمين .(٦) راجع علم التفسير – للدكتور محمد حسين الذهبي – والمذاهب الاسلامية في التفسير – لجولد تسيهر .(٧) سورة القيامة – الآيتان ١٨ ، ١٩ .

فهم النبي للقرآن الذي أوحي اليه ، فما يهم البشر في حياتهم وعلاقاتهم وانتماءاتهم وضّحه النبي ووثق كل أبعـــاده بأسانيد من القرآن الكريم ، وما لا يهمهم في هذه الأنماط أحال فيه النبي على الله حتّى لا يقول بما لا يعلم من جهة ، وحتّى تتأكد حتمية القصور البشري ، حتّى ولوكان هذا البشر نبياً ، وكمال الخالقية الالهية من جهة أخرى .

أما الصحابة ، فقدكانوا على مقربة من الفهم الحقيقي للقرآن ، لقربهم من عصر العربية الصافي ، ثم لقربهم من النبي، صلى الله عليه وسلم،وعلمهم بأسباب النزول ، ولكن فهمهم للقرآن كان جملة لا تفصيلاً ، بدليل أنه قد خفي عليهم بعض مشكل القرآن لفظاً وتركيباً ومعنى ، مما دفعهم في كثير من الأحيان الى طلب الفهم من النبي في حياته . أما بعد وفاته فقد أعملوا فيه ذكاءهم المؤمن ، وقالوا فيه برأيهم على ضوء قوانين اللغة وعادات العرب وأسباب النزول وأحوال أهل الكتاب في جزيرة العرب ، مفسرين للقرآن بالقرآن ، وللقرآن بما أثر من قول فيه عن رسول الله ، وللقرآن بما توحيه اجتهاداتهم العاقلة ومعارفهم العميقة ، وللقرآن بما يعرفون من أخبار أهل الكتاب وأحوال الأمم وتواريـــخ الشعوب ... ولعل من أبرز هؤلاء المفسرين من صحابة رسول الله : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعلي بن أبي طالب ، وأبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير (٨) . وقد يبدو منطقياً أن تفاسير أولئك جميعاً تتسم بالايجاز والقصد والاجتزاء وعدم التدوين ، ربما لأن المرحلة لم تكن بعد تحتاج الى مزيد من التفصيل أو مزيد من التشعيب أو مزيد من التوثيق ، لقربها الحميم من عصر النبوة الشارح ، واتصالها بزمن النقاء اللغوي في قمة مده وصفائه .

وأمّا في المرحلة الثانية ، مرحلة عصر التابعين ، فقد كان طبيعياً أن يتصدى للتفسير أولئك الرجال الذين عاصروا زمن الصحابة ، وجلسوا اليهم ، وتلقوا عنهم ، وعرفوا منهم آداب النظر في كتاب الله وشروط المجتهد في فهمه واستنباط أسراره . وقد دعت حاجة التطور الطبيعي الى أن يكون الناس في عصر التابعين أشد منهم في عصر النبي وأصحابه حاجة الى فهم ما يُشكل ، وتجلية ما يُستبهم ، لتراخي الزمن بهم عن منابع الفهم الأولى في كتاب الله ، ولتلعثم اللسان العربي بعض الشيء في دروب الركاكة كأثر حتمي من آثار الامتزاج والاختلاط واندمـــاج الأجناس والثقافات . وكان من أثر هذه الحاجة اللازمة أن استعرض تفسير القرآن الكريم حتّى شمله كله . وكان ذلك أبرز ملامح هذه المرحلة ، لأن التفسير في عصر النبي وصحابته كان تفسيراً موضعياً يعني بآية مشكلة هنا أو آيات مبهمات هناك . أما في عصر التابعين فقد تنامت حاجة الناس الى الفهم ، وتنامت جهود العلماء في تلبية هذه الاحتياجات ، حتّى شملت القرآن كله .. ليس ذلك فحسب ، ولكن الأمر تعدى ذلك الى عبور التفسير هذا الاطار المادي المكاني الذي كان محصـــوراً في دار الهجرة حيث استقر النبي وأصحابه . الى لون آخر من الانسياح في أمصار الأرض المسلمة التي أخذ الفتح الاسلامي يرفع عليها راياته مصراً من وراء مصر ، فتشكلت من هذا المد التفسيري في هذه الأمصار مدارس فكرية تتسم بخصائص المكان وخصائص الثقافات وخصائص الرجال .. كمدرسة التفسير بمكـــة : وتنتمي الى عبد الله بن عباس .. ومن تلاميذه بهـــا من التابعين : سعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبير ، وعكرمة مولى عباس ، وطاووس بن كيسان اليماني ، وعطاء بن أبي رباح ... وكمدرسة التفسير بالمدينة : وتنتمي الى أبيّ بن كعب ، ومن تلاميذه بها من التابعين : أبو العالية ، رفيع ابن مهران الرياحي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وزيد بن أسلم ... وكمدرسة التفسير بالعراق : وتنتمي الى عبد الله ابن مسعود، ومن تلاميذه بها من التابعين: علقمة بن قيس النخعي ، ومسروق بن الأجدع الهمداني ، والأسود بن يزيد النخعي ، ومرة الهمداني ، وعامر الشعبي ، والحسن البصري وقتادة بن دعامة السدوسي .

وأمّا في المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة ما بعد عصر التابعين أو منذ بدأ التدوين للعلوم حتّى الآن ، فقد بدأ التفسير يستقل عن الحديث كعلم له أصوله ومناهجه وأخذ المفسرون يتناولون كتاب الله من خلال نظرة كلية شاملة تفسر كل آياته ومفرداته . وراح هذا النفر الجليل من علماء التفسير يستوحون معاني القرآن على أساس من اجتهاداتهم الخاصة التي شكلت فيما بعد ملامح نوعيات من التفسير يقارب بعضها بعضاً ويفارق بعضها بعضـــاً كذلك .. ولعل هذه الوضعية الأخيرة تبدو على نحو من التوائم المنطقي مع بداية عصر التدوين ونشأة علوم النحو والبلاغة والصرف والكلام والترجمة وذيوع كثير من قضايا العلم وقضايا التفلسف ، وقضايا الانحياز المذهبي . وبديهي

---

(٨) راجع الاتقان في علوم القرآن – للسيوطي .

آن تترك كل هذه الوثبات العلمية والفكرية صداها القوي العميق في حركة التفسير في هذا العصر وما تلاه من عصور ، وأن يلجأ كل فريق الى ترسيخ اتجاهه على ضوء ما يستطيع أن يستنبط من كتاب الله ويفهم من مقولاته وآياته ، وأن ينحو التفسير في المرحلة الأخيرة نحواً علمياً يوشك أن يخوض في معادلات الرياضة ، وقوانين الطبيعة ، وعناصر الكيمياء ، وتشريح الأحياء .

هذه على وجه التقريب هي مراحل التفسير التي مر بها طوراً من وراء طور ، الا أن استدراكاً أولياً ينبغي أن نلاحظه في هذا الصدد ، وهو أن تحديد هذه المراحل لا يعني أن مرحلة منها تستقل عن المرحلة الأخرى هكذا بشكل حاسم ، ففي العلوم ، وخاصة النظري منها ، لا يمكن فصل مرحلة عن مرحلة ، لأن عامل الامتداد والتداخل وصيرورة الفكر ترفض هذا الفصل الباتر المشوه ، وتؤكد وحدة المعرفة وتلاحم تاريخها ، المستمر ، وتخلق الحاضر الآني من الماضي الغابر ، بل هي ترفض أن يكون هناك ماض وحاضر ، لأن الزمن من ماض وحاضر ومستقبل ، يستحيل الى وحدة متدامجة يمكن أن نسميها حاضراً أبدياً ، أو مستقبلاً احتمالياً هكذا بلا تفتيت مصطنع أو انكماش سقيم .

يبقى أن نتأمل اتجاهات التفسير العامة التي يمكن أن نرصدها على نحو من التجوز الواسع ، لأن حصرها الجامع المانع قد يكون شيئاً فوق طاقة البحث وفوق احتمال بشر واحد من الناس ، فقد عكف على القرآن الكريم ، غير اعلام المفسرين المعروفين ، أرتال من المسلمين بلا انقطاع ، وحاول كل منهم أن يعطي فهمه للقرآن ، وأن يتلقى عن القرآن فيضه المنهمر .. ومن هنا فاننا نرى أن أهدى الطرق في رصد اتجاهات التفسير هو التركيز على التيارات العامة التي تنطوي بالضرورة على مفردات كثيرة قد تلتزم بتيار من التيارات الكبيرة لا تتعداه .

وقد أوشك أن يكون من المتعارف عليه ان اتجاهات التفسير تتردد بين هذه الأنماط :

التفسير بالمأثور ..
والتفسير بالرأي ، أو التفسير العقلي ..
والتفسير الموضوعي ..
والتفسير الاشاري ..
والتفسير العلمي ..

وبديهي أن كل نوع من هذه الأنواع يتميز بخصائص ذاتية تحدد ماهيته ، أو تحدد له ، على الأقل ، طابعاً عاماً يدل عليه دون سواه ، وان كان الفصل الحاسم ، كما قلنا ، بين واحد وآخر من هذه الأنواع لا يعد في النهاية عملاً علمياً دقيقاً ، لما تفرضه طبيعة البحث في موضوع واحد ، وهو هنا تفسير القرآن الكريم ، ومن تشابك القضايا ، وتقارب الفهم ، واختلاط الحدود ، فليس يمكن على الاطلاق أن نعزل التفسير بالرأي عن التفسير بالمأثور ، لأن التفسير بالمأثور ظل الرافد الذي يلهم حركة التفسير المتتابعة ويسدد خطاها على طريق الفهم الصوابي لاشارات القرآن وقوانين تعبيره المعجز . كما لا يمكن الفصل بين التفسير العلمي والتفسير الموضوعي ، لانهما وجهان لحقيقة واحدة ، فليس يمكن لمفسّر أن يتناول جانباً علمياً من جوانب الاعجاز القرآني ، دون أن يستقصي ما ورد في القرآن بصدد هذا الجانب على نحو من الاستغراق والشمول ، حتى تكون الرؤية العلمية للظاهرة المدروسة مكتملة جوانب الفهم ، وقائمة على أساس من كلية الحكم وليس على أساس من وحدانية المفردات . وهكذا يستبين بحق أن الفصل الحاسم بين نوعية وأخرى من هذه الاتجاهات التفسيرية لا يمكن أن يكون عملاً علمياً منهجياً ، وكل ما يستطاع في هذا الصدد هو أن نغلب جانباً على أساس من الخصائص الدالة والملامح المميزة والقضايا المثارة . كذلك يمكن أن نلاحظ أن هذه الاتجاهات ليست حاصرة تماماً ، فهناك التفسير التاريخي ، والتفسير السياسي ، والتفسير البياني ، وغيرها . وكلها تشير الى مناهج ذات قيمة علمية ، ولكننا نكتفي بالاشارة الى ما رصدنا من اتجاهات سابقة .

فالتفسير المأثور يلتزم بما أثر عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه الذين تلقوا عنه ووعوا توجيهاته القرآنية .. والتفسير بالرأي أو التفسير العقلي يجنح الى الاجتهاد في فهم النص القرآني على ضوء المتعارف عليه من قواعد اللغة العربية وقوانين التعبير البياني في أساليبها البلاغية .. والتفسير الموضوعي يميل الى انتخاب قضية من القضايا القرآنية فيجمع ما تفرق في القرآن حولها من آيات ، ويحاول في ضوء الجو العام الذي ترسمه هذه الآيات جميعها أن يقول في القضية برأيه الخاص ، وأن يفسر مضمونها بما استطاع أن يصل اليه من اقتناع قائم على أساس علاقة النظير بالنظير .. والتفسير الاشاري يوغل ، بعيداً عن

(٩) راجع فجر الاسلام ، وضحى الاسلام ، لأحمد أمين . وعلم التفسير للذهبي . وانظر الاتقان — الجزء الرابع .

ظاهر النص ، الى أعماقه الباطنة ، ويحاول عن طريق الكشف الصوفي أن يتأول الظاهر وأن يسبغ عليه وجوداً من الرمز الاشاري الذي يرتبط أساساً بفهم قوانين الظاهر ولكنه يتخطاها الى لون من توسيع قاعدتها الدلالية وانطاقها بأكثر من مضمونها اللغوي الذي يوحيه الوضع المعجمي ... والتفسير العلمي يركن الى محاولة الاستدلال من القرآن الكريم على كل انطلاقة علمية ، مستظلاً في رحلته هذه بقول الله عز وجل : « **ما فرطنا في الكتاب من شيء** » وهذا الاتجاه ، على جلال باعثه ، ينطوي على محاذير كثيرة لعل من أبرزها تحول النظرية العلمية ربما من النقيض الى النقيض ، ومن هنا تكون خطورة الربط بين هذه النظرية الصائرة ، وبين حقائق القرآن الثابتة ، والتي ينبغي أن نصونها عن الخوض في هذا الجدل الصائر بلا قرار .

وربما كان من المفيد في النهاية أن نتأمل قضية على جانب هائل من الخطورة في هذا المجال ، هي أن من أسباب الاختلاف في فقه القرآن الكريم ابتداء ، وفي استنباط الأحكام من آياته كما تحدث عنها العلماء : اشتراك اللفظ في الوضع لمعنيين فأكثر ، وتردده بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي أو بين المعنى الحقيقي والمعنى الشرعي ، واشتراك الجمل المركبة بين معنيين مختلفين بسبب تركبها بحروف خاصة «كأداة الاستثناء » ، وكلمتي « أو » و « الفاء » .. وذلك راجع في أساسه الى خصائص اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم .

فمن أمثلة الاشتراك في اللفظة المفردة « قرء » الواردة في قوله تعالى بياناً لعدة المطلقات ذوات الحيض : « **والمطلقات يتربصن بأنفسهم ثلاثة قروء** » ، فانها مشتركة بين الحيض والطهر . وثبت ورودها في كلام العرب لهما على حد سواء ، ولا خلاف بين العلماء في ذلك . كما لا خلاف بينهم في أن المراد منها هوأحد المعنيين لامجموعهما ، **وانما اختلفوا** في المراد منها في الآية .

ومن أمثلة الاختلاف الناشيء من تردد اللفظة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي : اختلافهم في معنى كلمة « أو ينفوا من الأرض » الواردة ضمن عقوبات المحاربين لله ورسوله في الآية التي تذكر بعد . فقد حملها الجمهور على الاخراج من الأرض التي ارتكب فيها الافساد ، وهو المعنى الحقيقي للكلمة ، وحملها الحنفية على السجن ، وهو معنى مجازي لها .

ومن أمثلة الاختلاف الناشيء من تردد اللفظة بين المعنى اللغوي والشرعي ، اختلافهم في كلمة « بناتكم » الواردة في آية المحرمات من النساء . ومنشأ هذا الخلاف تردد اللفظ بين المعنى اللغوي ، وهو المتولد من ماء الرجل مطلقاً ، والحقيقة الشرعية ، وهو خصوص المتولد من ماء الرجل في ظل نكاح شرعي صحيح .

وقس على ذلك الاختلاف الناشيء عن الاشتراك الواقع في تركيب الألفاظ بعضها على بعض . أو الاختلاف الناشيء عن غير ذلك من الأسباب الأصولية ، أو البلاغية ، أو النحوية ، أوالمذهبية ، أو القرائية ، أوالذوقية(١٠) ... الا أنه في النهاية اختلاف يثري طبيعة الفهم الانساني للنص القرآني بما يضيء حوله من مقولات الذوق والاعتقاد والنحو والبلاغة والأصول ، وغير أولئك من مختلف العلوم التي نشأت في ظلال القرآن الكريم .

فاذا قلنا : ان القرآن يشكل مدخلاً الى حياة عقلية مثقفة فذلك قول ينهض على أسس من المنهج العلمي الرصين الذي لا ينطق عن هوى ولا يميل مع تعصب عقائدي ...

واذا قلنا : ان القرآن يشكل رافداً أساسياً لاتجاهات الفكر المسلم فتلك حقيقة ترتكز على سواند من منطق العقل وحركة التاريخ الذي لا يكذب ولا يدور في فراغ الادعاءات ..

واذا قلنا في النهاية : ان العقل المسلم المعاصر مطالب بتأمل حركة الفكر الاسلامي التي أعطاها القرآن كل هذه الطاقات الفاعلة ، فان هذه الدعوة تنبعث من ايمان جازم بحتمية انتمائنا الفكري والعقائدي ، حتى لا نبقى على هامش العطاء الحضاري مجرد راصدين أو حتى مجرد شارحين ، ففي تراثنا عطاء بقدر ما في الأرض من كنوز ، ولعل الدراسات القرآنية بالذات تقف من هذا العطاء على ربوة الامتلاء والاكتناز ●

د . محمد أحمد العزب / القاهرة

---

(١٠) راجع : الاسلام عقيدة وشريعة – للشيخ محمود شلتوت – ص/ ٤٣٥ – ٤٤٣ .



حياة قيس المتيسة

اختلف كثير من الرواة على اسمه ووجـوده وجنونه . فمنهم من قـال ان اسمه مهدي ، ومنهم من قال ان اسمه قيس بن الملوح . وأمـا وجوده ففيه تناقض كثير . فقد حدث عن أيوب بن عباية أنه قال : سألت بني عامر بطنْا بطنْا عن مجنونهم فما وجدت أحداً يعرفه . وحدث أيضاً مثل هذا عن ابن دأب : قال : قلت لرجل من بني عامر ، أتعرف المجنون وتروي من شعره شيئاً لي ؟ قال : أوقد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروي أشعار المجانين ؟ انه كثر . فقلت ليس هؤلاء أعني ، انما أعني مجنون بني عامر ، الشاعر الذي قتله العشق ، فقال ، هيهات ، هيهات ، ان بني عامر أغلظ أكباداً من ذاك . وحدث عن الرياشي أنه سمع الأصمعي يقول ، رجلان ما عرفا الا بالاسم . مجنون بني عامر وابن القيرانة وانما وصفهما الرواة . أما هذا كله لا يثبت عدم وجوده . وكذلك لو كان شعره لرجل غيره لما ضن هذا الرجل باشهار اسمه . بل كان أضن منه بطيه وكتمانه . ولعمري ان أكثر العقلاء يتمنون أن يكون لهم شـاعرية كشاعرية قيس . ثم أن رجلاً مهما كانت شاعريته غزيرة رقيقة وكان يتصنع الحب ويتكلف الشجن لا يستطيع أن يصف وصف قيس أو يقلد غزله . وهي الخلي السالي كالمدله الولهان ؟ ومن أين للسالي رقة المبتاين وحنين المغرمين ؟ فانظر الى روح قيس كيف تسيل في شعره حيث يقـول :

كأن القلب ليـلة قيـل يُغـدى
بليـلى العـامرية أو يـراح
قطـاة غرهـا شـرك فبـاتت
تجـاذبه وقـد عـلق الجنـاح

ومـن يسمع قوله :

كـأن فـؤادي في مخالب طائـر
اذا ذكرت ليـلى يشد بها قبضـا
كـأن فجاج الأرض حلقة خـاتم
عليّ فـلا تزداد طولاً ولا عرضا

من يسمع هذا لا يصدق أن قائله ينسبه الى غيره وأنه سالٍ لا يعرف الحب والغرام والأشجان والآلام ..

هذا قليل من كثير . أما وجوده فقد حدث عن سعيد ابن سليمان بن مساحق عن أبيه عن جده قال : سعيت على بني عامر فرأيت المجنون وانشدني . وقال نوفل بن مساحق : قدمت البادية فسألت عن المجنون ، فقيل لي : توحّش وما لنا به عهد ولا ندري الى أين صار . فخرجت أتصيد ومعي جماعة من أصحابي ، حتى اذا كنت بناحية الحمى اذا نحن بأراكة عظيمة ، قد بدا منها قطيع من الظباء ، فيها شخص انسان يُرى من خلل تلك الأراكة ، فعجب أصحابي من ذلك فعرفته وأتيته ، وعرفت أنـه المجنون الذي أخبرت عنه .

فنزلت عن دابتي وتخففت من ثيابي ، وخرجت أمشي رويداً ، حتى أتيت الأراكة ، فارتقيت حتى صرت على أعلاها ، وأشرفت عليه وعلى الظباء ، فاذا به وقد تدلّى الشعر على وجهه ، فلم أكد أعرفه الا بتأمل شديد ، وهو يرتعي في ثمر تلك الأراكة ، فرفع رأسـه فتمثلت ببيت من شعره :

أتبكي على ليلى ونفسك باعـدت
مزارك من ليلى وشعبا كما معـا

قال : فنفرت الظباء ، واندفع في باقي القصيـد ينشدها ، فما أنسى حسن نغمته وحسن صوته ، وهو يقول :



للأستاذ : نعيم العماد

فما حسن أن تأتيَ الأمر طائعاً
وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا
بكت عينيَ اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا
واذكر أيام الحمى ثم انثني
على كبدي من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع
عليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

الى آخر القصيدة :

قال ثم سقط مغشياً عليه ، فتمثلت بقوله :

يا دار ليلى بسقط الحي قد درست
الا التمام والا موقد النار

فرفع رأسه الي وقال : من أنت حياك الله ؟ فقلت : أنا نوفل بن مساحق فحياني فقلت له : ما أحدثت بعدي في يأسك منها ؟ فأنشد يقول :

ألا حُبِبَتْ ليلى وآلى أميرها
عليّ يميناً جاهداً لا أزورها
وأوعدني فيها رجال أبوهم
أبي وأبوها خُشّنت لي صدورها
على غير جرم غير أني أحبها
وان فؤادي رهنها وأسيرها

قال : ثم سنحت له ظباء فقام يعدو في أثرها . وكثيراً غيرهم عرفوا المجنون هذا الذي نعنيه ورافقوه وأخذوا الشيء الكثير من شعره . أما نكران عشيرته اياه فكانوا لا يريدون أن يكون بينهم شاعر مجنون يشبب بفتاة مشهورة من فتيات القبيلة ويتغنى بمواقفه معها منذ طفولتها الى أن شبت ، فاسمعه يقول :

تعشقت ليلى وهي غرّ صغيرة
ولم يبد للاتراب ، من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا
الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

وهذا التغني والتشبيب وسرد حوادث الغرام يتنافى والعادات العربية ويسيء الى تقاليدهم الأبيّة ، لهذا لا تعجب اذا طوى أفراد عشيرته خبره بعد موته وتجاهلوه أمام من يسألهم عنه ، زاعمين أنهم لم يسمعوا بمثل هذا الاسم من قبل ، وكانت كل قبيلة عربية ترجو نجاحاً على يد شاعرها ونفعاً وسؤدداً من ورائه .

لقد جاء قيس على غير ما كانوا يتوقعون . ولو أن قيساً عطف عن غزله بالحسان واستعمل سليقته الشعرية بمدح الأمراء والتنويه بمآثر قومه ورفع رايتهم لكانوا أشادوا باسمه وطبقوا الآفاق بذكره . ولكن قيساً ما كان يحفل بالمديح أو يشمخ بالتقريض ، وسواء عنده ذكروه بخير أو بضير ، بهجر أو بحسن ، فالمهم عنده أن يرى ليلاه ويسامرها وتسامره ويجالسها وتجالسه وتسمع خفقان ذلك القلب الذي أذابه الشوق والحنين والبكاء والأنين . هذا غاية مشتهاه وما تصبو اليه نفسه .

نرجع الى خبره ووجوده لنقول : ان بعض من يوثق بهم من المؤرخين عرفوا قيساً هذا وتحدثوا اليه وصرحوا أنه لم يكن مجنوناً بل كانت به لوثة . أما اسمه فمنهم من قال كعمرو بن عمرو الشيباني عن أبيه : ان اسمه قيس بن الملوح . وهذا الأرجح ويرجحه قول ليلى صاحبته فيه حيث تقول :

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة
متى رحل قيس مستقل فراجع

وحدث أن أباه مات قبله فعقر، أي، قيس على قبر أبيه ناقته وقال في ذلك شعراً :

عقرت على قبر الملوّح ناقتي
بذي السرح لما أن جفته الأقارب
وقلت لها كوني عقيراً فانني
غداً راجلاً أمشي وبالأمس راكب
فلا يبعدنك الله يا ابن مزاحم
فكلّ بكأس الموت لا شك شارب

ومهما يكن من تناقض في اسمه فليس لدينا شيء يثبت عدم وجوده، وحدث عن زياد الكلابي أنه قال: ليلى صاحبة قيس، هي ليلى بنت سعد بن مهدي بن ربيعة ابن الحرش .. الخ، وأما قيس فهو، قيس بن الملوّح ابن مزاحم بن عدي بن ربيعة .. الخ. أجل فهي قريبته وكان يرى في هذه القريبة كل أمانيه وأحلامه وغاية ما تصبو اليه نفسه وما يطلبه من دنياه .. وفي نظره أنها سلبت كل جمال في الدنيا وتزينت به فاسمعه يقول :

أخذت محاسن كل ما
ضنت محاسنه بحسنه
كاد الغزال يكونها
لولا الشوى ونشوز قرنه

وحدث عن الأصمعي أنه سأل اعرابياً من بني عامر. عن المجنون العامري قال: عن أيهم تسألني. فقد كان فينا جماعة رموا بالجنون فعن أيهم تسأل؟ قلت عن الذي كان يشبب بليلى. ، فأنشدني لبعضهم. وأنشدني لمزاحم ابن الحارث المجنون :

ألا أيها القلب الذي لجّ هائما
بليلى وليداً لم تقطّع تمائمه
أفق قد أفاق العاشقون وقد أتى
لك اليوم أن تلقى طبيباً تلائمه
أجدّك لا تنسيك ليلى ملمة
تلمّ ولا عهد يطول تقادمه

فقلت فانشدني لغيره منهم، فأنشدني لمعاد بن كليب المجنون :

الا طالما داعبت ليلى وقادني
الى اللهو قلب للحسان تبوع
وطال احتراء الشوق عينيّ كلما
نزفت دموعاً تستجد دموع
فقد طال امساكي على الكبد التي
بها من هوى ليلى الغداة صدوع

قلت فانشدني لغير هؤلاء، فأنشدني لقيس بن الملوّح :

ولو أن لك الدنيا وما عدّلت بها
سواها وليلى بائن عنك بينها
لكنت الى ليلى فقيراً وانما
يقود اليها ودّ نفسك حينها

فقلت أنشدني لمن بقي من هؤلاء، فقال: حسبك فوالله ان في واحد من هؤلاء لمن يزن بعقلائكم اليوم.

وقال الجاحظ: ما يريك الناس شعراً مجهول القائل قيل في ليلى الا نسبوه الى المجنون — المجنون الذي نعنيه — ولا شعراً هذا سبيله قيل في لبنى الا نسبوه الى قيس بن ذريح. والحق يقال فانا نرى أشعاراً في غاية من الركاكة منسوبة الى قيس، وقيس بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب. وان كثيراً من الرواة نقلوا أشعاراً أخذوها عن قيس ودونوها له واذا بهم بعد حين يعرفون قائلها فيرمون قيساً بالسرقة. والحق يقال ان قيساً لم يكن سراقاً وما نظم الشعر ليقال انه شاعر بل كان يريد اظهار عواطفه وبث لواعج نفسه وخفقان قلبه وما يكنه ضميره، ليس في شعره فحسب، بل بكل شعر له أو لغيره وجده موافقاً هوى نفسه ارسله الى ليلاه أو تغنى به ليصل اليها، وأئمة العلماء لا يشكون في ذلك. وقد قيل أن الذي القي على قيس من الشعر وأضيف اليه أكثر مما قاله هو. وهذه أبيات الى جميل بن معمر منسوبة الى قيس وهي :

واني لأخشى أن أموت فجاءة
وفي النفس حاجات اليك كما هيا
واني لينسيني لقاؤك كلما
لقيتك يوماً أن أبثك ما بيا
وقالوا به داء عياء أصابه
وقد علمت نفسي مكان دوائيا

أجل هـــذا شعر صادر عن قلب متيم حرقه الغرام وأضناه الفراق فلا عجب ان طابق نفسانية قيس ايما مطابقة ومثل هذا الشعر يلذ لقيس ترديده ولعشاق شعر قيس انتسابه اليه . يدخل الى القلب عنوة وبدون استئذان ، وإن كثيراً من الناس في ذلك العصر كانوا يعطفون على قيس ويحدبون عليه ويقال أن زعماءهم عرضوا عليه أجمـــل فتيات القبيلة فلم يرق له الا ليلاه ، وكانوا اذا سمعوا شعراً لقيس ارهفوا آذانهم وتطاولوا بأعناقهم ليسمعوا أو يروا مصدر الصوت .

فأنت ترى بعد اطلاعك على هذه الأخبار ما كان عالم ذلك العصر يرى في شعر قيس وكيف كانوا يحدبون عليه ويستعذبون أشعاره ، وهذا الشعر ليس من ابتكـــار المعاني وبديع الألفاظ ونادر الكلم .. أجل فلم يعد من شك لدينا بوجود قيس ، فقيس كان عالم عصره عرفـــوه وعطفوا عليه ليس لرقة شعره فحسب ، بل لحالته المحزنة وأخبـــاره المؤلمة .

سبب عشقه ليلى : كان سبب عشق المجنون ليلى ، انه أقبل ذات يوم على ناقة كريمة له وعليه حلتان من حلل الملوك ، فمر بامرأة من قومه يقال لها كريمة وعندها جماعة نسوة يتحدثن فيهن ليلى ، فأعجبهن جماله وكماله فدعونه الى النزول والحديث ، فنزل وجعل يحدثهن بقية يومه . ومن ذلك اليوم أحب ليلى وأحبته وأخذ حبهما ينمو ويزيد حتى أصبح مضرب الأمثال تتناقله الرواة جيلاً بعد جيل ويتغنى بشعره الناس .

لقد جاء قيس وخطب ليلى من أبيها وبذل لها خمسين ناقة حمراء ، وجاء ورد بن محمد العقيلي وخطبها أيضاً وبذل لها عشراً من الإبل ، فقال أهلها ، نحن مخيروها بينكما فمن اختارت تزوجته ، ودخلوا اليها فقالوا : والله لئن لم تختاري ورداً لنمثلن بك ، فقال المجنون :

الا يا ليـــل ان مكنت فينـــا
خيـارك فانظـري لمن الخيـــار
ولا تستبدلي مـــني دنيّـــا
ولا برمـــا اذا حـب القتـــار

فاختارت ورداً فتزوجته على كره منها وقد جن جنون قيس وأصبح لا يلوي على شيء من حوله ولا يلبس ثوباً الا مزقه ويهذي ويخطط بالأرض ويلعب بالتراب ويجلس بعيداً عن الناس ولا يتكلم ولا يجيب سائلاً عن سؤاله فاذا آرادوا أن يتكلم أو يثوب عقله ذكروا له ليلى ، فيقول بأبي هي وأمي .. ولا غرو فهي كل أحلامه وأمانيه وقد تقوضت تلك الأماني واندكت تلك الأحلام فذهبت هباء منثوراً . وقد حدث أن عبد الرحمن بن نوفل بن مساحق نزل مجمعاً من تلك المجامع فرأى المجنون يلعب بالتراب وهو عريان ، فقال لغلام له هات ثوباً ، فأتاه به فقـــال لبعضهم خذ هذا الثوب فألقه على ذلك الرجل ، فقال له : أتعرفه جعلت فداك ؟ قال : لا . قال : هذا ابن سيد الحي ، لا والله ما يلبس الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن واذا طرح عليه شيء مزقه . ولو كان يلبس ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه . وحدثه عن أمره فدعا به وكلمه ، فجعل لا يعقل شيئاً يكلمه به ، فقال له قومه : ان أردت أن يجيبك جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى ، فذكرها لـــه وسأله عن حبه اياها فأقبل عليه يحدثه بحديثها ويشكو اليه حبه اياها وينشده شعره فيها ، فقال له نوفل : الحب صيرك الى ما أرى . قال : نعم وسينتهي بي الى ما هو أشد مما ترى . وقد سئل قيس يوماً عن سبب ابعادها عنه فأنشد :

فـوالله ثم الله انـــي لدائـــب
أفكـــر في ذنبي اليهـــا وأعجب
ووالله مـــا أدري عـــلام قتلتني
وأي أموري فيك يا ليـــل أركب

وقيل ان أبا المجنون ورجـــال عشيرته اجتمعوا الى أبي ليلى فوعظوه وناشدوه الله والرحم وقالوا له : ان هذا الرجل لهالك أقبح من الهلاك ذهاب عقله وانك فاجع به أباه وأهله فنشدناك الله أن تزوجها اياه فوالله ما هي أشرف منه ولا لك مثل مال أبيه وقد حكمك في المهر . وان شئت أن يخلع نفسه اليك من ماله فعـــل ، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمها أنه لا يزوجها اياه أبداً وقال : أأفضـــح نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأته أحد من العرب واسم ابنتي وعشيرتي بميسم فضيحة . فانصرفوا عنه وخالفهم من وقته فزوجها من ورد كما تقدم ذكره . ولما علم قيس بزواجها قطع كل أمل من الحياة وتغلب اليأس عليه فخولط في عقله •

نديم العمـــاد/بيروت



النقوش الاسلامية المنمقة تضفي على اجــزاء
الجامع الأموي جمالا وبهاء .



المكتبة العربية غنية بالكتب والمخطوطات التي تتضمن العديد من المواضيع الدينية والتاريخية والاجتماعية .. وقد أغنت مكتبات العالم بمعارفها ، علماً بأن قسماً كبيراً من مخطوطاتها ما زال قيد التحقيق والنشر ، ويمكن القول اليوم إن ما نشر في الفترات البعيدة منها والقريبة ما زال متواضعاً اذا ما قورن بما لم يتم تحقيقه . هذا وبالرغم من كل الكوارث التي أصابت المكتبة العربية عبر القرون ، كإحراق مكتبة بغداد على يد التتر ، ومكتبة الاسكندرية . وكذلك إحراق ستمائة ألف مجلد ومخطوطة من قبل أسقف طليطلة في إسبانيا ، فانها ما زالت تغدق على العالم الكثير من أخبار العلم والمعرفة في فترة كانت أوربا تعيش فيها في غياهب الجهل والتخلف .

واليوم وأنا أبحث عن تاريخ مدينة دمشق من خلال المؤلفين والشعراء القدامى وجدت عدداً كبيراً من هؤلاء وقد انبروا للكتابة عن المدينة في الفترات التي وُجدوا فيها ، فحدثونا عن مزايا هذه المدينة وما فيها من جوانب هامة ومزايا خاصة ، وقد اخترت من كل هذا ما كتبه ياقوت بن عبد الله الرومي ، المعروف بياقوت الحموي الذي توفي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م . وقد قام بجولات عديدة في كل من ايران ، والعراق ، والشام ، ومصر وآسيا الصغرى ، وألف معجم البلدان فأفاد كثيراً من كتب سابقيه وأضاف اليها ملاحظاته الخاصة ، وهو معجم غاية في الأهمية اذ جمع فيه أطراف الثقافة . وكتب الكثير عن المدن التي زارها ومنها دمشق . فعن دمشق يقول ياقوت الحموي :

دمشق الشام : بكسر أوله ، وفتح ثانيه ، هكذا رواه الجمهور ، والكسر لغة فيه ، وشين معجمة وآخره قاف : البلدة المشهورة قصبة الشام ، وهي جنة الأرض بلا خلاف ، لحسن عمارة ، ونضارة بقعة ، وكثرة فاكهة ، ونزاهة رقعة ، وكثرة مياه ، ووجود مآرب . قيل : سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا ، وناقة دمشق ، بفتح الدال ، وسكون الميم : سريعة ، وناقة دَمْشَقَة اللحم : خفيفة .

وقال أهل السير : سميت دمشق بدماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشد بن سام نوح . فهذا قول ابن الكلبي . وقال في موضع آخر : ولد يقطان بن عابر بن سالف وهم السلف ، وهو الذي بنى قصبة دمشق .

وقيل : إن من بناها هو «بيوراسف» .



غوطة دمشق الشرقية التي تغنى بها الشعراء .

وقيل بنيت دمشق على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمس وأربعين سنة من جملة الدهر الذي يقولون أنه سبعة آلاف سنة . وولد ابراهيم الخليل . بعد بنائها بخمس سنين . وقيل كذلك . ان الذي بنى دمشق جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام ابن نوح عليه السلام ، وسماها إرم ذات العماد .

وقال غير هؤلاء : سميت بدماشق ابن نمرود بن كنعان وهو الذي بناها ، وكان مع ابراهيم عليه السلام .

في حين قال آخرون : سميت بدمشق ابن إرم بن سام بن نوح . عليه السلام ، وهو أخو فلسطين وايلياء وحمص والأردن ، وبنى كل واحد منهم موضعاً فسمّي به .

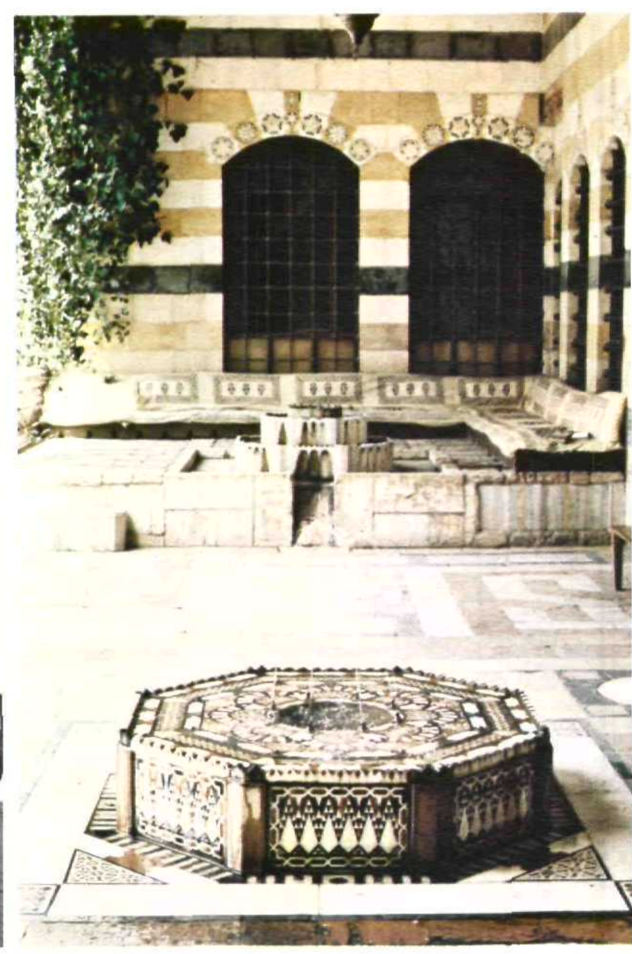
وروى بعض الأوائل ان مكان دمشق كان داراً لنوح عليه السلام ، ومنشأ خشب السفينة من جبل لبنان ، وأن ركوبه السفينة كان من عين الجر من ناحية البقاع ، بينما يرى كعب الأحبار : ان أول حائط وضع في الأرض بعد الطوفان حائط دمشق وحرّان .

وفي الأخبار القديمة عن شيوخ دمشق الأوائل : ان دار شدّاد ابن عاد بدمشق في سوق التبن يفتح بابها شآماً الى الطريق ، وأنه كان يزرع الريحان والورد وغير ذلك فوق الأعمدة بين القنطرتين : قنطرة دار البطيخ ، وقنطرة سوق التبن .

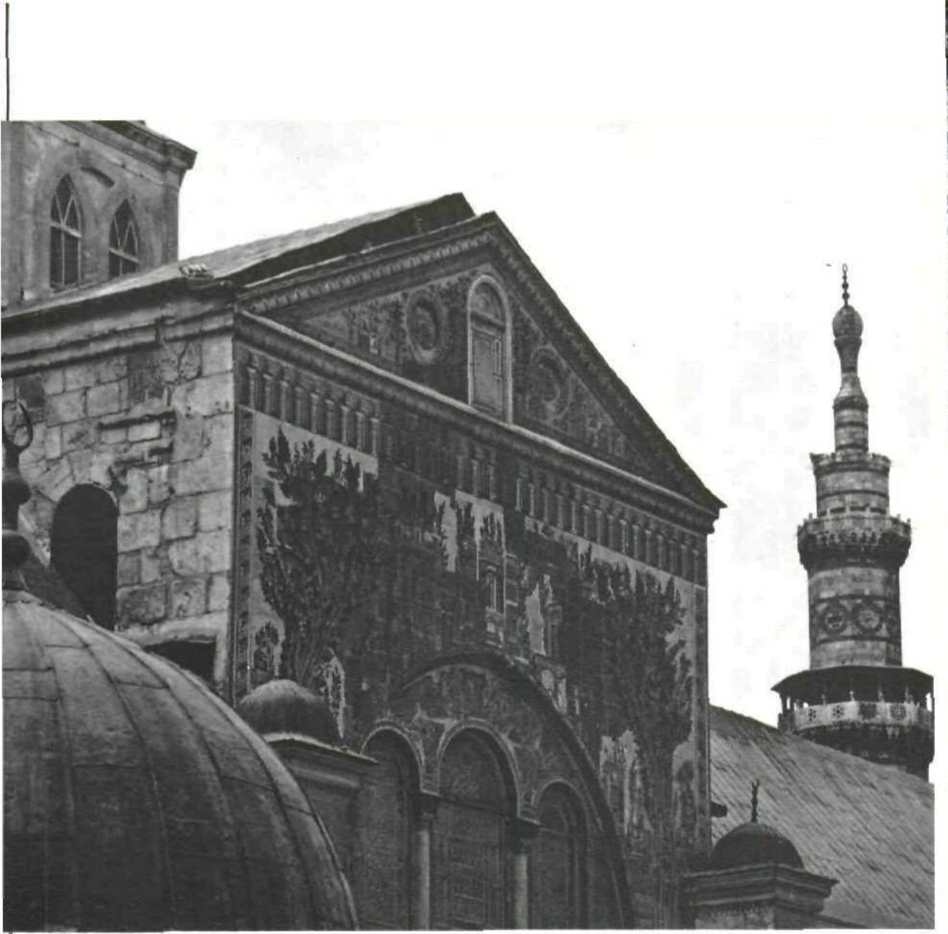
وقالوا في قول الله عز وجل : **« وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين »** ، قال هي دمشق ذات قرار وذات رخاء من العيش وسعة ومعين كثيرة الماء . وقال قتادة في قول الله عز وجل **« والتين »** قال : الجبل الذي عليه دمشق **« والزيتون »** الجبل الذي عليه **بيت المقدس** و **« طور سينين »** : شعب حسن **« وهذا البلد الأمين »** : مكة ، وقيل : **« إرم ذات العماد »** دمشق .

وأما الأصمعي فيقول : جنات الدنيا ثلاث : غوطة دمشق ، ونهر بلخ ، ونهر الأبلّة . ويؤيده في ذلك أبو بكر محمد ابن العباس الخوارزمي الشاعر الأديب حيث يقول : « جنان الدنيا أربع : غوطة دمشق ، وصفد سمرقند ، وشعب بوان ، وجزيرة الأبلة ، وقد رأيتها كلها وأفضلها دمشق . وفي الأخبار : ان ابراهيم عليه السلام ، ولد في غوطة دمشق في قرية يقال لها برزة (١) في جبل قاسيون .

ويقول مؤلف معجم البلدان : وفي خصائص دمشق التي لم أر في بلد آخر مثلها كثرة الأنهار بها وجريان الماء في قنواتها ،



احدى باحات قصر العظم تتوسطها نافورة مزدانة بالزخارف البديعة .





احدى واجهات الجامع الاموي حيث تبدو احدى منائره الرشيقة .



الثلوج تغطي معظم انحاء مدينة دمشق في فصل الشتاء .

فقلّ أن تمر بحائط الا والماء يخرج منه في أنبوب الى حوض يشرب منه ويستقي الوارد والصادر ، وما رأيت بها مسجداً ولا مدرسة ولا خانقاها الا والماء يجري في بركة في صحن هذا المكان ويسح في ميْضأة ، والمساكن بها غزيرة لكثرة أهلها والساكنين فيها وضيق بقعتها ، ... وهي في أرض مستوية تحيط بها من جميع جهاتها الجبال الشاهقة ، وبها جبل « قاسيون » ليس في موضع من المواضع أكثر من العبّاد الذين فيه . وبها مغاور كثيرة وكهوف وآثار للأنبياء والصالحين لا توجد في غيرها . وبها فواكه جيدة فائقة طيبة ، تحمل الى جميع ما حولها من البلاد من مصر الى حرّان وما يقارب ذلك فتعم الكل ، وقد أكثر الشعراء من وصفها .



منظر ليلي لاحد المساجد الحديثة في مدينة دمشق.

أما جامعها . فقد وصفه بعض أهل دمشق فقالوا : هو جامع المحاسن كامل الغرائب ، قد زوّر بعض فرشه بالرخام وألف على أحسن تركيب ونظام ، وهو منزه عن صور الحيوان الى صنوف النبات وفنون الأغصان لكنها لا تجنى الا بالأبصار . لا يمسها عطش مع فقدان القطر ولا يعتريها ذبول مع تصارف الدهر .

ويقال أن الوليد بن عبد الملك انفق على عمارته خراج المملكة سبع سنين ، وحملت اليه الحسابات بما أنفق عليه على ثمانية عشر بعيراً فأمر باحراقها ولم ينظر فيها وقال : هو شيء أخرجناه لله فلم نتبعه ، ومن محاسنه أنه لو عاش الانسان مائة عام وكان يتأمله كل يوم لرأى فيه كل ما لم يره في سائر الأيام ، وقيل : انه عمل في تسع سنين ، وكان فيه عشرة آلاف رجل في كل يوم يقطعون الرخام ، وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب . فلما فرغ أمر الوليد أن يسقف بالرصاص فطلب من كل البلاد وبقيت قطعة منه لم يوجد لها رصاص الا عند امرأة . وأبت أن تبيعه الا بوزنه ذهباً فقال : اشتروه منها ولو بوزنه مرتين ففعلوا . فلما رأت إنصافه أشهدتهم بأنه لله . وردت الثمن . فلما بلغ ذلك الوليد ، أمر أن يكتب على صفائح المرأة : لله ، ولم يدخله فيما كتب عليه اسمه .

والجامع الأموي هذا مبنى على أعمدة من رخام سافلها كبير وعاليها صغير ، تزينها رسوم جميلة بالفسيفساء» . وليس في دمشق أعلى ولا أبهى منظراً منها وله ثلاث منائر احداها وهي الكبرى وكانت ديدباناً للروم وأقرت على ما كانت عليه وصُيِّرت منارة . ولم يزل جامع دمشق على تلك الصورة يبهر بالحسن والتنميق الى أن وقع عليه الحريق في سنة ٤٦١ هـ فأذهب بعض بهجته ، وهذا ما كان في صفته .

قال ابو مطاع ابن حمدان في وصف دمشق :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها
فلي بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء الا استخفني
الى بردى والنيربَيْن حنين

وقال البحتري :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها
وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا أردت ملأت العين من بلد
مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فِرَقا
ويصبح النبت في صحرائها بددا

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحسين بن النقار يمدح دمشق :

سقى الله ما تحوى دمشق وحياها
فما أطيب اللذات فيها وأهناها
نزلنا بها واستوقفتنا محاسن
يحن اليها كل قلب ويهواها
وكم ليلة نادمت بدر تمامها
تقضت ، وما أبقت لنا غير ذكراها
رعى الله أياما تقضت بقربها
فما كان أحلاها لديها وأمراها

هذا قليل من كثير فيما يمكن أن يقال عن مدينة لها مكانتها الرفيعة بين مدن العالم . هذه المدينة التي تلفت اليوم انتباه العالم لكثرة ما فيها من أماكن هامة ومعالم تاريخية بارزة ، ويعمل في استجلاء خفاياها التاريخية والأدبية علماء ومؤرخون يثرون العالم بما يكتبون عنها ويدوّنون ●

حسن كمال — دمشق



هذه ترجمة لقصيدة « البحيرة » للشاعر الفرنسي المشهور « لامارتين » .

شعر : فهد علي النفيسة

ستظل الحياة في الكون تجري
في بحار الزمان ندفع دوماً
يرفض اليوم وقفة ان رأينا
والرجوع الجميل للأمس يأبى

والليالي تمتد من غير فجر
كل بحر يقود منها لبحر
طالع اليوم بالتوقف يغري
في التماس الرجوع من غير عذر

* * *

كم جلسنا وحدثتنا البحيره
كم تمادت فقبلت قدميها
كم زها الصخر حينما تعتليه
كم رمى الموج حوله في ابتهاج

بهدير الشواطيء المغروره
في سرور وكبرياء وغيره
فهو عرش يختال تحت أميره
زبداً مثل فضة مصهوره

* * *

آه هل تذكر البحيرة أمسي
اذ مخرنا عبابها في سكون
وأيادي المياه تسعى الينا
وحديث الغرام في شفتينا

والمساء الذي تولى بأنس
يتغنى المجداف فيه بهمس
ثم تمضي للعمق من غير لمس
ليس يحكي بنطق جنّ وأنس

* * *

يوم قالت حبيبتي لليالي
فقفي عند هذه الحال لسنا
آه لكنّ في الحياة أناما
فتوالي لأجلهم واسعديهم

اتركينا نعبّ كأس الوصال
بعدها نبغي في الدّنا أي حال
بؤساء يرجون منك التوالي
واتركينا نعيش في الآمال

* * *

أيها الدهر – يا شقيّ – أجبني
لَمَ لمْ تبق لي من الأمس جزءاً
أين تلك الأيام أين الحبيبه
هل توارت بلا رجوع ومن قد

لِمَ تغنّى مسرتي قبل حزني
ربّ جزء من المسرة يغني
أين سعدي وأين أنسي وأمني
ساقها لي يسوقها اليوم عني

* * *

افتني يا خلود أين هنائي
واخبريني يا هوة العيش خلفي
لمَ لا ترجعون لي بعض أنسي
ما الذي تصنعونه بالليالى

وافتني يا ضياع أين عزائي
أين سعدي الذي تلاشى ورائي
أو أروني في الغيب بعض رجائي
حين تطوونها بلا إرجاء

* * *

صخرتي ، كهفي ، غابتي ، والبحيره
سوف أمضي وسوف تبقون بعدي
واحفظوها ورددوها فحسبي
واحفظيها يا تلّتي ، يا صنوبر ،

احفظوا الودّ ان طوتني المسيره
فاكتبوا عن غرامنا أسطوره
أننا قصة غدت مشهوره
يا ربى ، يا حجارتي المهجوره

* * *

وليقل بلبل الرياض الشادي
وليقل شاطيء البحيرة دوماً
وليقل كل ما على الأرض عنّا
قد أحبّا وأخلصا فاستحقا

وليقل ثغر غصنها المياد
وليقل هاتف الصّبا في الوادي
في نشيد مسترسل الانشاد
أن يدوما بالذكر في الآباد

مشكلات أساسية في تعليم العربية لغير الناطقين بها

«١»

بقلم: الدكتور كمال بشر

ان تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يضعنا أمام أربع مشكلات رئيسية، ينبغي التفكير فيها، ودرسها درساً موضوعياً قبل أن ننطلق الى قاعات التعليم، حتى لا نقع في محظور الخلط والاضطراب، وحتى لا نخطىء الوسيلة والهدف جميعاً.

هذه المشكلات الأربع هي:

أولاً: اختلاف المستويات الثقافية للمتعلمين.

ثانياً: اختلاف أهداف هؤلاء المتعلمين وأغراضهم من تعلم العربية.

ثالثاً: نوعية اللغة أو الصيغة اللغوية التي تقدم: حدودها وخواصها.

رابعاً: المادة اللغوية أو القواعد الأساسية لأصوات هذه الصيغة وصرفها ونحوها وبلاغتها ومفرداتها.

والواقع أن هذه المشكلات جميعاً مترابطة متكاملة، ولا ينبغي عزل احداها عن الأخريات، كلما استطعنا الى ذلك سبيلا، بل أن المشكلتين الأولى والثانية، ونعني بهما اختلاف الأهداف واختلاف المستويات، لا يمكن النظر اليهما نظراً مستقلاً، وانما تتوزع جوانبهما على مسائل المشكلتين الأخريين. ذلك لأننا في كل لحظة نحاول فيها تحديد نوع اللغة وتعيين قواعدها، لا بد أن نأخذ في الحسبان الأوضاع الثقافية للمتعلمين ومدى ملاءمة المادة المختارة لهذه الأوضاع، وأن نراعي كذلك مقاصد الدارسين التي قصدوا اليها من تعلّم اللغة.

أما فيما يتعلق باختلاف المستويات بين المتعلمين الأجانب، فمن المعروف أن هؤلاء المتعلمين ينتمون الى بيئات متعددة، ذات ثقافات متفاوتة، وأنماط من السلوك والعادات متباينة، فليس من المقبول علمياً وتربوياً اذن أن نقدم لهؤلاء وأولئك مادة موحدة في الكليات والجزئيات، حيث أن هذا الصنيع سوف يفوّت على هذا الفريق أو ذاك فرصة التقبل والاستيعاب بالدرجة التي تناسب وضعه الثقافي.

واختلاف اللغات القومية بين الدارسين كذلك أمر ذو خطر، ينبغي التنبه اليه منذ اللحظة الأولى في وضع المادة وعند الممارسة الفعلية في فصول الدراسة طوال الوقت. ذلك أنه قد ثبت من التجارب أن الطلاب يختلفون فيما بينهم في درجة الفهم والتحصيل للغة العربية باختلاف لغاتهم القومية. انه ليس من العدل أن نقارن طالباً أوربياً بطالب مسلم من باكستان أو نحوها من تلك البلاد ذات اللغات التي تأثرت باللغة العربية أو لها صلة من نوع ما بهذه اللغة، حيث أن هذا الطالب المسلم له نوع معرفة ببعض الكلمات أو المصطلحات الاسلامية، أو لعله يحفظ شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، وكلها أمور تأخذ بيده نحو التقدم في تعلم العربية بصورة أيسر وأسهل. لهذا كله، يرى بعض المربين، ونحن معهم متفقون، وجوب توزيع الطلاب على فصول الدراسة بحسب لغاتهم القومية، منعاً للاضطراب في الدراسة ودفعاً للعملية التعليمية.

وتأتي بعد ذلك مشكلة تنوّع الدارسين من حيث الأغراض التي من أجلها يتعلمون لغتنا العربية، وهذه مشكلة قد تغرى بتنويع الصيغة اللغوية التي تقدم اليهم، ربما يقبل بعضهم على تعلم العربية لأغراض تجارية أو اقتصادية أو سياسية، أو لأهداف علمية وثقافية، أو ربما يكون القصد من هذا التعلم مجرد التعامل باللغة في الحياة اليومية الجارية.

وهنا قد تنطلق أصوات بوجوب تلبية هذه الحاجات المختلفة اجمالاً

وتفصيلاً ، بمعنى أن تقدم اللهجات العامية الصرفة لفريق ، والفصحى العلمية المتخصصة لفريق آخر ، والفصحى العصرية لفريق ثالث ، وخليط من هذا وذاك لمجموعة أو مجموعات أخرى .

والواقع أن هذا المنهج يؤدي الى تشويش واضطراب في العملية التعليمية ، وانه انما يصلح في حالات معينة هي حالات الدورات التدريبية القصيرة ذات الهدف المحدد الذي ينتهي بانتهاء هذه الدورات .

أما تعليم العربية بصورة علمية متسمة بالاستمرارية النسبية فينبغي أن يكون على أساس اختيار الفصحى منطلقاً للتعليم في كل مراحله ، وان جاز لنا أن ننوّع في أساليب هذه الفصحى وأنماط تراكيبها بحسب الحالة المعينة .

واختيار الفصحى منطلقاً لتعليم العربية لغير الناطقين بها فيه انصاف لأنفسنا وواقعنا العربي وفيه خدمة لمقوّماتنا الدينية والثقافية والسياسية . وهذا الاختيار كذلك فيه تلبية لأغراض المتعلمين ووفاء بحاجاتهم على المدى البعيد . ومعنى هذا اننا لا نستطيع أن نقدم العامية أو العاميات لهؤلاء الدارسين . لأن في تقديمها مجانبة للصواب من جهتين :

الجهة الأولى : ان العامية أو العاميات ليست لغة العرب في مجموعهم وانما هي صورة أو صور من الكلام تحمل في ثناياها مجموعة ضخمة من الفوارق والاختلافات التي تحرمها خاصة الوحدة اللغوية التي تمثل العرب بوصفهم أمة واحدة . وهذا يقودنا الى نتيجة واضحة هي أن هذه الصور من الكلام عاجزة كل العجز عن مقابلة حاجات المتعلمين الأجانب في الاطار العربي العام وانها ان قامت بدور ما في هذا الصدد فانما ذلك مقصور على فترات زمنية محدودة وعلى بيئات عربية ضيقة . يظهر هذا العجز بمجرد أن ينتقل المتعلم الأجنبي من وطن عربي الى آخر ومن بيئة عربية الى أخرى .

الجهة الثانية : أن ترشيح اللهجات لغير الناطقين بالعربية يواجهنا بمشكلة عملية لا نستطيع التغلب عليها أو التخلص منها . اذ كانت اللهجات ذات صور عدة في الوطن العربي فأي لهجة نختار ؟ سؤال يوحي بالاجابة عنه ، وهذه الاجابة هي استحالة الاختيار أو صعوبته .

وخلاصة هذا كله وجوب الاصرار على تقديم الفصحى لغير الناطقين بالعربية وذلك بقطع النظر عن تنوع حرفهم وصنائعهم واختلاف مقاصدهم التي يقصدون اليها من تعلم العربية ، ولكن ينبغي الحذر والحيطة في طريقة تقديمها واختيار مادتها .



على أن تقديم الفصحى لهؤلاء المتعلمين ليس بالأمر الهين . ذلك أن الفصحى اليوم لغة مكتوبة في الأغلب ، وتنتظم هي الأخرى مجموعة من الفوارق اللغوية من بلد عربي الى آخر . والعادة أن اللغة لا تعلّم مكتوبة ، وانما تستغل في تقديمها خبرات النطق والسماع والقراءة والكتابة جميعاً .

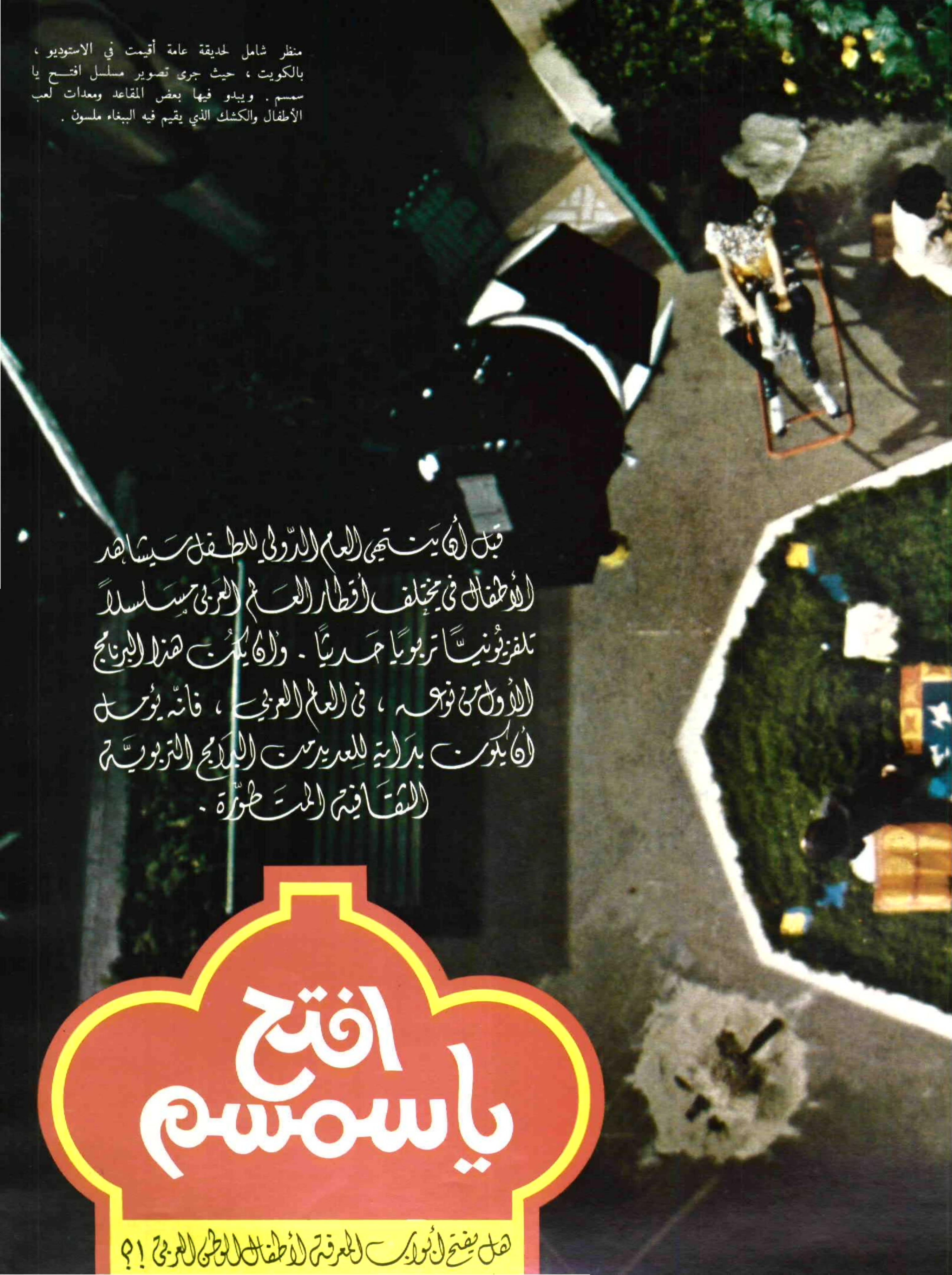
والملاحظ في الآونة الأخيرة أن العرب في مختلف أقطارهم اذا استخدموا فصحاهم منطوقة بدت لنا في الحال فروق صوتية واضحة ، من ذلك مثلاً اختلافهم في نطق الثاء والذال والظاء ، والقاف والجيم والضاد والراء الخ . وانهم يختلفون أيضاً فيما بينهم في مواقع النبر « Stress » في الكلمة والجملة وفي قواعد توزيع هذا النبر على المستويين المذكورين . وان بينهم خلافاً في أنماط التنغيم وموسيقى الكلام « Intonation » من جملة الى أخرى .

هذا بالاضافة الى مجموعة من الفروق الصوتية الأخرى التي تستطيع أن تدركها بمجرد أن تستمع الى أي عربي يستخدم الفصحى منطوقة ، بحيث لا يصعب عليك تحديد بيئته أو بلده . واذا ما انتقلنا الى حقل المفردات والتراكيب ألفينا فروقاً أخرى يمكن للدارسين أن يتعرفوا عليها بسهولة .

ولكن ليس معنى هذا كله استحالة تعليم الفصحى لغير العرب وتقديمها لهم في صورة موحدة أو شبه موحدة . كل ما يحتاجه الأمر هو الدراسة العلمية الجادة التي تهدف الى الوصول الى صيغة لغوية عامة تنتظم الخواص العربية الأصلية المشتركة وتخاو بقدر الامكان من الفروق ذات السمات المحلية الخاصة ببلد عربي دون الآخر •

د . كمال بشر – الرياض





منظر شامل لحديقة عامة أقيمت في الاستوديو ، بالكويت ، حيث جرى تصوير مسلسل افتح يا سمسم . ويبدو فيها بعض المقاعد ومعدات لعب الأطفال والكشك الذي يقيم فيه الببغاء ملسون .

قبل أن ينتهي العام الدولي للطفل سيشاهد الأطفال في مختلف أقطار العالم العربي مسلسلاً تلفزيونياً تربوياً حديثاً . وإن يكن هذا البرنامج الأول من نوعه ، في العالم العربي ، فإنه يؤمل أن يكون بداية للعديد من البرامج التربوية الثقافية المتطورة .





٢



٣

تقول الدراسات ان عدد الاطفـــال في الوطن العـــربي الذين تـتراوح اعمارهم بين الثالثة والسادسة يبلغ حوالي ٢٦ مليون طفـــل . وانـــه لا يذهب منهم الى رياض الاطفال غير نصف مليون طفل . أي بمعدل طفل واحد فقط من كل خمسين طفلاً . امـــا التسعة والاربعون الباقون فيقيمون او يلعبون في البيوت وساحاتها او في الشقق وشرفاتها او في الطرق والشوارع الضيقة والواسعة ، لا يعرفون أي نوع من التعليم او التوجيه الثقافي . حتى يأتي دورهم لدخول المدارس الابتدائية وقد يمتد بهم العمر الى ما بعد السابعة اوالثامنة او اكثر .

شارع السمسم وافتح يا سمسم

لا شك ان الكثيرين من الآباء والأمهـــات والاطفال ، الصغار والكبار ، قد شاهدوا البرنامج الاجنبي الناطق بالانجليزية المسمى : « شارع السمسم — Sesame Street » أو لا بـــد انهم سمعوا عنه خلال الاحاديث واللقـــاءات العابرة بينهم . ولا عجب في ذلك ، فهذا المسلسل يعتبر أهم التجارب المرئية الموجهة لاطفال ما قبل المدرسة كما قال عنه السيد ادجار فور رئيس اللجنة التي شكلتها منظمة اليونسكو . لاستطلاع هذا المسلسل التلفزيوني وتقرير مدى فائدته في تربية الاطفال قبل التحاقهم بالمدارس الابتدائية .

وقد سارع عدد من البلـــدان لتطوير هذا البرنامج واخراجه بلغات مختلفة بلغت نحو ١٣ لغة ، وصار يبث في اكثر من اربعين قطراً في مختلف ارجاء المعمورة . وهذا الاقبال ، في الواقع دليل على تقدير المسؤولين عن شؤون التربية في تلك البلدان لاهمية هذا البرنامج في تثقيف الجيل الجديد وتنشئته نشأة بعيدة عن الجو التلفزيوني السائد في الوقت الحاضر والمليء بأفلام الرعب والعنف وغير ذلك مما اثار الجدل لدى المربين والآباء على حد سواء ، حول صلاحية تلك البرامج للاطفـــال .

بدأ عرض شارع السمسم ، للمرة الاولى ، في الولايات المتحدة الامريكية خلال عام ١٩٦٩ ، فلاقى اقبالاً كبيراً . وقد عرض المسلسل ، باللغة الانجليزية ، في عدد من محطات التلفزيون في منطقة الخليج . ولاقى أيضاً تجاوباً من المسؤولين عن شؤون التربية . الامر الذي دعاهم الى التفكير في اخراجه باللغة العربية . لكيلا تظل اللغـــة الاجنبية حاجزاً يحول دون تعلم الاطفال العرب لما ينطوي عليه من افكار قيمة . كما انه يمكن تلافي ما لا يتناسب مع تقاليد المجتمع العربي وعاداته واضافة ما يلائمه من مختلف اوجه الثقافة والمعرفة في سائر الوطن العربي .

وقد بدأت فكرة انتاج النسخة العربية لهذا البرنامج تدخل حيز الوجود عندما عهد المؤتمر الرابع ، لمحطات تلفزيون الخليج العربي . لمؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج ومقرها الكويت بمهمة الاشراف على انتاج المسلسل وتنفيذه . وقد رصد لهذا المشروع مليونا دينار كويتي ، اي حوالي سبعة ملايين دولار امريكي .

أول برنامج تلفزيوني في الوطن العربي ، موجه إلى أطفال ما قبل المدرسة وفق أسس تربوية . وأول انتاج لمؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج .



٨



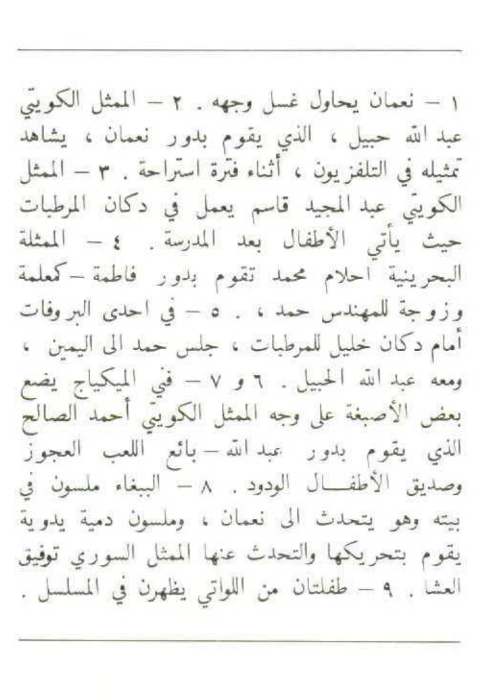
٥

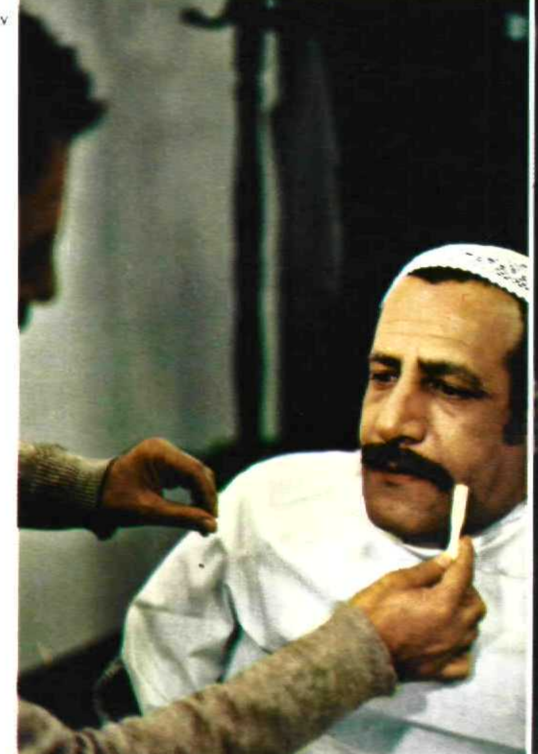


٩



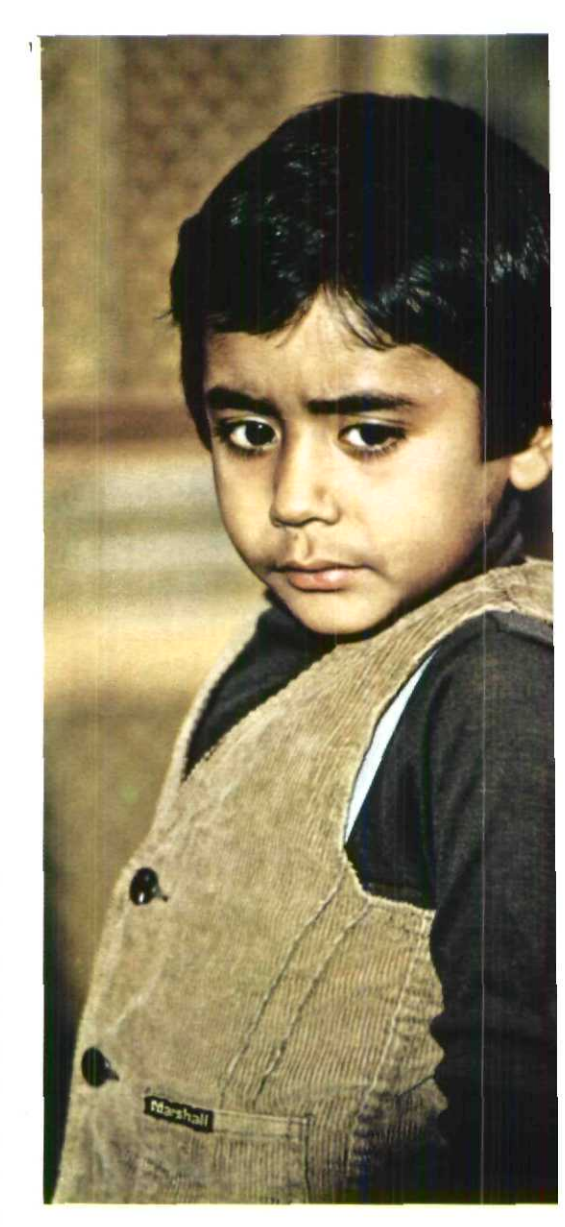
٦-٧







١ – نعمان يحاول غسل وجهه . ٢ – الممثل الكويتي عبد الله حبيل ، الذي يقوم بدور نعمان ، يشاهد تمثيله في التلفزيون ، أثناء فترة استراحة . ٣ – الممثل الكويتي عبد المجيد قاسم يعمل في دكان المرطبات حيث يأتي الأطفال بعد المدرسة . ٤ – الممثلة البحرينية احلام محمد تقوم بدور فاطمة – كمعلمة وزوجة للمهندس حمد ، . ٥ – في احدى البروفات أمام دكان خليل للمرطبات ، جلس حمد الى اليمين ، ومعه عبد الله الحبيل . ٦ و ٧ – في الميكياج يضع بعض الأصبغة على وجه الممثل الكويتي أحمد الصالح الذي يقوم بدور عبد الله – بائع اللعب العجوز وصديق الأطفال الودود . ٨ – الببغاء ملسون في بيته وهو يتحدث الى نعمان ، وملسون دمية يدوية يقوم بتحريكها والتحدث عنها الممثل السوري توفيق العشا . ٩ – طفلتان من اللواتي يظهرن في المسلسل .



يتكون من ١٣٠ حلقة تلفزيونية ملونة كل منها مستقلة عن الاخرى ويستغرق عرض الواحدة نصف ساعة.

ساهمت بها الدول المشتركة في المؤسسة وهي : المملكة العربية السعودية والكويت والعراق والبحرين وقطر والامارات العربية المتحدة .

يعتبر هذا البرنامج الاول من نوعه بالنسبة للطفل العربي في مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية . يقول الاستاذ رضا الفيلي — مدير البرامج في تلفزيون الكويت ، « ان الموجود في الوطن العربي حالياً لا يمكن تسميته برامج اطفال وانما هو اجتهادات فرعية مقتبسة من القصص القديم » ولذا فقد اجريت عدة دراسات وبحوث تمهيدية لكي يخرج البرنامج متكاملاً وافياً بالغرض . ولم يكن هذا بالعمل السهل خاصة وان البرنامج سيكون للطفل العربي من الخليج الى المحيط ، وليس لاطفال المشرق العربي فقط . وكذلك روعي استخدام اللغة العربية الفصحى المبسطة السهلة الفهم والنطق . وقد جاء هذا بعد اجـراء اختبارات لغوية على العديد من الاطفال في اربع مدن عربية هي : الكويت — عن منطقة الخليج ، والقاهرة — وهي اكبر العواصم العربية ، وعمّان — عن بلاد الشام ، وتونس —عن المغرب العربي. وقد قام بالاختبار عدد من المدرسين والاساتذة والمختصين في شؤون التربية . وكان الهدف الأول من ذلك هو تحديد مستوى اللغة الفصحى التي تتناسب وسن الاطفال دون ان يكون هنـاك تخصيص لبعض اللهجات المحلية او الدارجة في بيئة ما ، بحيث يصعب على الاطفـال في البيئات الاخرى فهمها وادراكها . فغاية البرنامج منفعة اطفال الوطن العربي عامة في مشرقه ومغربه واستخدام لهجات محلية قد يحول دون بلـوغ الهدف بين قطر وآخر . يقول الدكتور عبد الله الدنان — الاستاذ بجامعة الكويت والمشرف على اختبارات البرنامج : «كان من بين اهداف تلك الاختبارات هو التعرف على مدى قدرة الاطفال في فهم بعض المفردات كأدوات السؤال او النفي مثل لماذا ، أين ، ليس .. » فهذه الكلمات غير مستعملة في اللهجات العامية ويستعملون بدلاً منها : ليش ، ليه ، وين ، فين ، مو ، ماكو ، مش الـخ .

وقد روعي تعليم بعض هذه الكلمات بطريقة سهلة مبسطة توفر للاطفال المتعة بالاضافة للتعلم . فمما يهدف اليه البرنامج توفير فرص تعليمية غير رسمية لاطفال ما قبل المرحلة الابتدائية تعينهم على فهم مادة الدراسة الاولية ، وكذلك تعليمهم بعض المهارات والافكار لتنمية قدراتهم الذهنية في تلك المرحلة من العمر ، وهم لا يزالون في بيوتهم ، وبطريقة ممتعة وبدون ارهاق ولا ملل.

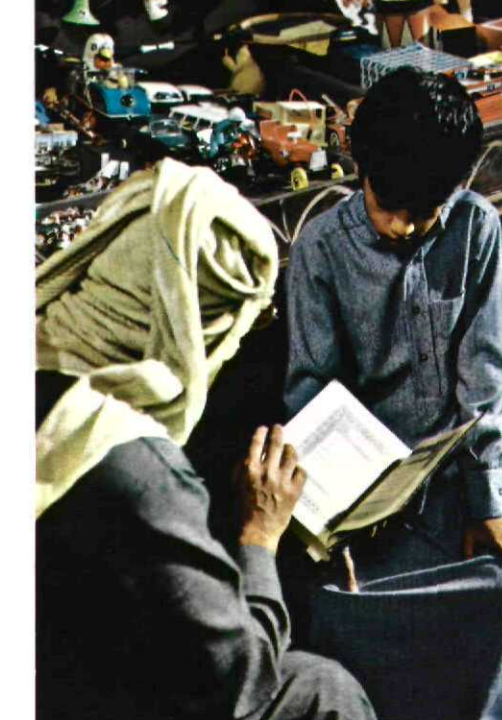
وحتى بعد ان بدىء بالانتاج وتم انجـاز الحلقتين الاوليين روعي ان تجرى دراسة تقييم نهائية يتقرر بعدها الاستمرار في الانتاج ، او تعديل خط السير بما يتناسب مع ما يقرره الدارسون من المختصين في شؤون التربية والاجتماع والثقافة والتعليم — الذين حضروا الى الكويت من مختلف ارجاء العالم العربي لتقييم ذلك العمل . فالحلقتان الاولى والثانية ، هما بداية لمئة وثلاثين حلقـة يستغرق عرض كل منها نحو ٣٠ دقيقة ، وعلى هذا كان لا بد ان يكون الاساس قويماً خالياً من العيوب المنظورة والمستورة . فهذا برنامج رائد في مجال تعليم الاطفال في العالم العربي . وتكاليفه كبيرة ، ولا بد ان يكون على المستوى المطلوب . قال الاستاذ ابراهيم اليوسف — مدير عام مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك : « ونحن نعتقد انه سيجتذب اليه نسبة كبيرة من الكبار ايضاً حيث ان الامية في بعض اجزاء وطننا العربي ، تصل الى حوالي ٨٠ في المائة » .

لقد استغرق انتاج الحلقتين النموذجيتين ما يقارب السنة ، وكان انجازهما يشكل المرحلة الاولى في هذا البرنامج الكبير في حين ان المرحلة النهائية التي سيتم خلالها انتاج ١٢٨ حلقة تستغرق حوالي ١٨ شهراً . وطول المدة في المرحلة الاولى شمل بطبيعة الحال الكثير من الاسس والترتيبات والمقدمات التي ارتكزت عليها باقي الحلقات او في واقع الامر ، البرنامج بأجمعه .

وجدير بالذكر ان الحلقة الرائدة من برنامج « افتح يا سمسم » العربي قد فازت بالدرجة الاولى في المؤتمر العالمي ، للبرامج المكيفة عن « شارع السمسم » الامريكي ، المنعقد في مدينة امستردام في مايو « ايار » ١٩٧٨ . على الدول المشتركة التي كيفت البرنامج وهي : المانيا الاتحادية ، فرنسا ، السويد ، المملكة المتحدة ، المكسيك ، اسبانيا ، بورتوريكو ، اليابان ، هولند وكندا .

ولقد كان انسجام مقدمي البرنامج (الممثلون) في عملهم كاملاً ومثيراً للدهشة حتى ان احـد الصحفيين الاجانب ممن جاءوا للكتابة عـن المسلسل ، طلب التحدث — عقب تصوير احدى اللقطات — الى مقدمة الحلقة ، ولـما خاطبها بالانجليزية اجابته بأنها لا تتقنها . فقال مندهشاً وقد ضرب جبهته بيده : ماذا تقولين !؟ لقد فهمت كل حركة وكل اشارة وردت اثنـاء الاداء !؟

ولم يقتصر المسلسل على تصوير المناظر في





١ – طفل من المشتركين في المسلسل . ٢ – عبد الله ، بائع اللعب ، يساعد بعض الأطفال في تعلم أحرف الهجاء . ٣ – عبد الله يُري الأطفال من حوله صورة الشيء الذي تدل عليه الكلمة . ٤ – عبد الله يساعد أحد الأطفال في حفظ بعض آيات القرآن الكريم .



الاستوديو ، التي تمت في تلفزيون الكويت . وبلغت ٦٥٠ مشهداً ، ولا على افلام الرسوم المتحركة التعليمية والترفيهية بل تعداها الى تشكيل فرق تصويرية قامت بالتقاط مناظر ولقطات تتراوح مدة الواحدة منها بين ١ – ٣ دقائق من مختلف الاقطار العربية لتعرض في حلقات البرنامج فتعطي الصغار انطباعاً عن ذلك القطر وتعرفهم به . وقد غطت الافلام الحية التي صورت خصيصاً للبرنامج الكثير من معالم الحياة الجغرافية والاقتصادية والبشرية في مختلف انحاء الوطن العربي ، كالمساجد والمتاحف والاسواق والحرف اليدوية والصناعات والحياة الفنية والشعبية وما اليها .

لا شك ان نجاح المسلسل الاجنبي ، على اختلاف اللغات التي يعرض فيها ، كان نتيجة مباشرة لمشاركة فريدة بين المنتج التلفزيوني والباحث التربوي . وسينعكس هذا ايضاً في المسلسل العربي « افتح يا سمسم » نظراً لوجود المشاركة الفعلية من قبل جميع اعضاء اللجنة الاستشارية التي يشارك فيها عدد من الاكاديميين العرب البارزين .

ومن الجدير بالذكر ان اهداف البرنامج تشمل عشرة مجالات هي : المجال العرفي ، والاجتماعي ، والصحي ، والفكري ، والاقتصادي ، والتكنولوجي ، والجمالي ، والقومي ، والروحي ، والانساني . انه برنامج تعليمي متكامل وضع له ١٧٠ هدفاً . ومن اجل تحقيق ذلك ساهم اكثر من ٢٣ كاتباً من مختلف الاقطار العربية في كتابة حلقات المسلسل ، كما كتبت للبرنامج اكثر من ١٢٠ اغنية وانشودة منها ما يتكرر في الحلقات كأغاني الارقام والحروف والتصنيف .

ومن اهداف البرنامج ايضاً تعليم الحروف العربية في مواقعها المختلفة من الكلمة بأسلوب شيق ممتع وباستعمال كلمات مألوفة . كما يعلم قراءة ثلاث عشرة كلمة تكثر رؤيتها في الحياة اليومية مثل : قف ، خطر ، مدرسة ، شرطة ، هدوء ، اسحب ، ادفع ، اعبر ، مدخل ، مخرج ، ممنوع ، مفتوح ، مغلق .

ويتم ذلك ، في البداية ، باستعمال كلمات من حرفين فتنقل الاحرف ويطلب قراءتها او لفظها ثم تزاد الاحرف لتشكل كلمات من ثلاثة او اربعة احرف . وما من شك في ان تعليم الاحرف العربية سيسهل كثيراً من مهمة المدرس في رياض الاطفال او المدارس الابتدائية ، لان الطفل في هذه الحالة يكون قد ألمّ بالحروف وأشكالها .

والبرنامج اجمالاً منوع تحتوي حلقاته مشاهد طريفة ، وأفلاماً حية تصور ما يدور حول الطفل في الطبيعة ، ورسوماً متحركة تهدف الى تعليم الطفل وتدريبه وفي الوقت نفسه تسليته ، والمشاهد موزعة بطريقة مدروسة وفي فقرات قصيرة تتراوح مدتها بين ١٥ ثانية وثلاث دقائق . ويقوم بتقديم البرنامج او التمثيل فيه شخصيات آدمية ودمى متعددة منها ما يحركه الممثل بنفسه .

وأشهر الدمى في البرنامج هما . نعمان – وهو كائن ضخم في شكل دمية يكسو



تحتوي كل حلقة على ٢٥ مشهداً تتراوح مدة الواحد بين ٩ ثوان و ٤ دقائق .

الصوف جسمه ، ودود ، متعاون ، سريع التأثر ، له خطرات ذهنية غير متوقعة ، وملسون – وهو دمية في شكل ببغاء ذكي ، كثير الكلام ، ويجيد الغنـاء . اما اشهر الاشخاص الآدميين فأسماؤهم في البرنامج هي : فاطمة ، حمد ، عبدالله ، هشام ، ليلى ، خليل ، سعيد ، وهي كما ترى اسماء عربية شائعة .

وقد خصص لتعليم الارقام وقت كاف بحيث يتعلم الطفل العد من ١ الى ٢٠ ، وفي المرحلة الاولى يتعلم العد من ١ الى ١٠ تصاعدياً وتنازلياً اي من ١ الى ١٠ ، ومن ١٠ الى ١ ، كما يتعلم العد من أي رقم يعطى له الى ١٠ و ١٠ او ما دونها : من ٣ الى ٨ مثلاً أو ٢ الى ٩ وهكذا . وكذلك يتعلم الجمع والطرح في حدود الرقم ١٠ . واستعمل في تعليم الارقـام الشكلان : العربي الحديث الذي يستخدمه اهل المشرق العربي ، والقديم الذي يستخدمه اهل المغرب – أي كما تكتب بالانجليزية . وكذلك يتعلم الطفل بعض الاشكال الهندسية كالدائرة والمثلث والمربع والمستطيل وتطبيق هذه الاشكال على مثيلاتها في صور ورسومات اخرى تعرض له ، مما ينمي مواهبه ويوسع مداركه .

ولم تفت الاصوات القائمين على هـذا البرنامج ، فالطفل يستمع لصوت ما ثم يشاهد صورة حيوان او آلة معروفة لديه ويربط بينهما . ولا شك ان الصغار سيستمتعون بطريقة البرنامج في تعلّم بعض الكلمات الظرفية مثل : فوق ،



١ – نعمان أمام دكان المرطبات وكذلك بعض الأطفال . ٢ – ملسون ، الببغـاء ، حوّل بيته (الكشك) الى مكتب للسفر والسياحة ويسأل الأطفال عن البلاد التي يودون زيارتها . ٣ – نعمان وملسون . ٤ – نعمان مع بعض الكشافة يتدرب على معرفة اليمين من الشمال .



١


٢


يعرض كل يوم بمعدل خمسة أيام في الأسبوع لمدة ٢٦ أسبوعاً ثم يكرر بعد ذلك .

تحت ، جنب ، بعيد ، قريب ، وكذلك قبل وبعد وغيرها كثير .

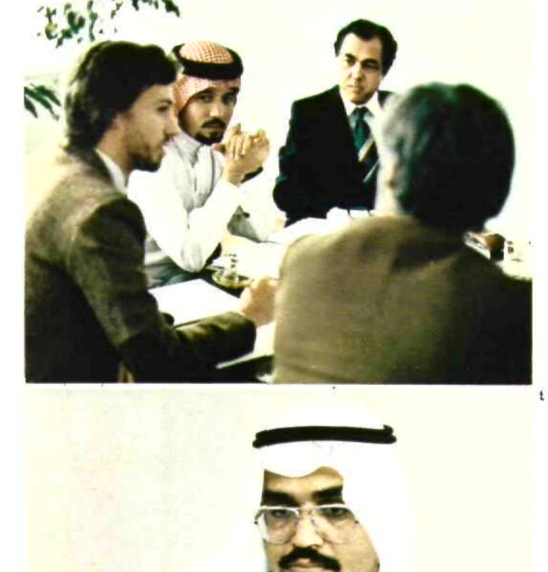
وخصص لجسم الانسان نصيب جيد في البرنامج فيتعلم الطفل اسماء بعض اعضائه والوظيفة التي يقوم بها كل منها . فالتخطيط والتفكير في الرأس ، والرؤية بالعينين ، والسمع بالاذنين ، وهكذا . كما يوضح للطفل بطريقة سهلة مبسطة ضرورة المحافظة على نظافة يديه وثيابه وأسنانه وشعره وجسده اجمالاً .. ويعرّف بأهمية التمارين الرياضية والراحة والطعام للجسد وكذلك بضرورة الابتعاد به عن مواطن الاذى والخطر كالحشرات والسموم . كما ينبه الى مضار الضجيج اثناء النوم والنور الضعيف أثناء القراءة .

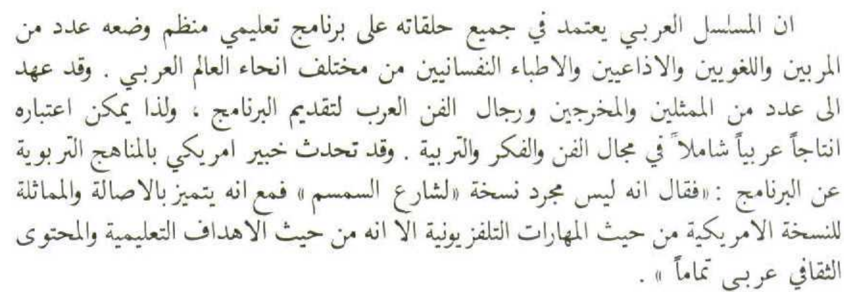
وخصص نصيب من البرنامج للسلوك الاجتماعي والتعاون ، وكيف يمكن بواسطتهما تحقيق الاهداف المطلوبة . وسيلاحظ الطفل ، لاشعورياً ، كيف ان مساهمة الافراد في تخطيط او تنفيذ عمل ما تسرع في انجازه وتحقيقه .

ووضع للنقود وأهميتها بند خاص في البرنامج .. كيف يحصل الناس عليها ، الطريقة الصحيحة في انفاقها ، علاقتها بحاجات الناس وتحقيق رغباتهم وسعادتهم .

وخصص جزء للطبيعة والبيئة من حول الطفل كالمياه والاشجار والسماء والنجوم والبحار والانهار والينابيع والواحات والجبال والصحارى والغابات ، والمعادن كالذهب والفضة والحديد ، والمدن والاراضي الزراعية والمعدات الآلية والميكانيكية والزيت والوقود والزراعة ، وبعض التغيرات الكيميائية والطبيعية كالضوء والحرارة وتأثير هذا وذاك . على الناس







ان المسلسل العربي يعتمد في جميع حلقاته على برنامج تعليمي منظم وضعه عدد من المربين واللغويين والاذاعيين والاطباء النفسانيين من مختلف انحاء العالم العربي . وقد عهد الى عدد من الممثلين والمخرجين ورجال الفن العرب لتقديم البرنامج ، ولذا يمكن اعتباره انتاجاً عربياً شاملاً في مجال الفن والفكر والتربية . وقد تحدث خبير امريكي بالمناهج التربوية عن البرنامج : «فقال انه ليس مجرد نسخة «لشارع السمسم» فمع انه يتميز بالاصالة والمماثلة للنسخة الامريكية من حيث المهارات التلفزيونية الا انه من حيث الاهداف التعليمية والمحتوى الثقافي عربي تماماً » .

اعتمد المسؤولون اربع قواعد في اخراج كل حلقة بحيث تشتمل على حوالي عشر دقائق من الرسوم المتحركة (كرتون) ، وعلى تصوير خارجي ، وتصوير داخل الاستديو ، وشيء من الالعاب والتسلية . وقد نفذت الرسوم المتحركة من قبل اشهر المؤسسات المتخصصة في هذا الفن في نيويورك ولندن وهامبورغ وزغرب والقاهرة .

تدرس المؤسسة حالياً امكانية انتاج نحو ١٤ فيلماً وثائقياً عن التراث الشعبي في منطقة الخليج وعن الفنون والصناعة،وعدة افلام تاريخية ، كما تخطط لانتاج مسلسل للآباء والامهات يدور حول العناية بالاطفال وتربيتهم ، وهناك فكرة لانتاج موسوعة مرئية اسلامية عربية . وهذه المشاريع سوف تستفيد من الابحاث والخبرات التي اكتسبت اثناء تخطيط وانتاج برنامج « افتح يا سمسم » . وهذا بدوره ، سوف يساعد المؤلفين والاساتذة في الجامعات في كتابة برامج تعليمية تثقيفية وترويحية في الوقت ذاته ، تناسب اذواق المشاهدين الاميين والامهات والقاطنين في الارياف والمناطق الزراعية . وقد اثبت برنامج « افتح يا سمسم » امكانية قيام تعاون وثيق بين مختلف اقطار الخليج ، وهذا ما يؤمل ان تحققه المؤسسة .

١ – الممثلون والمخرجون والفنيون في جلسة غير رسمية لبحث الأدوار ومراجعتها . ٢ – كبير المنتجين فيصل الياسري – من العراق – يتحدث الى نعمان . ٣ – كبير المنتجين يبحث أحد الأدوار ، وقد ظهر توفيق العشا خلف الببغاء وعبد الله الحبيل الى اليسار . ٤ – فنيان في غرفة المراقبة . **فوق داخل المربع :** ١ – عقد عدد من الخبراء العرب والأجانب اجتماعاً لتقويم المسلسل . ٢ – السيد ابراهيم اليوسف – مدير عام مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي . ٣ – بعض أعضاء الوفود الذين حضروا الاجتماع وهم من اليمين : الدكتور محمد جواد – مدير الأبحاث في المؤسسة ، ومن اليسار ، المستر دونكان كنويرثي مستشار البرنامج المقيم في الكويت . وفي الوسط (بالغترة) السيد سعود هلوى – المدير العام المساعد لتلفزيون الخليج في الرياض . ٤ – الدكتور عدنان عقل – مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .



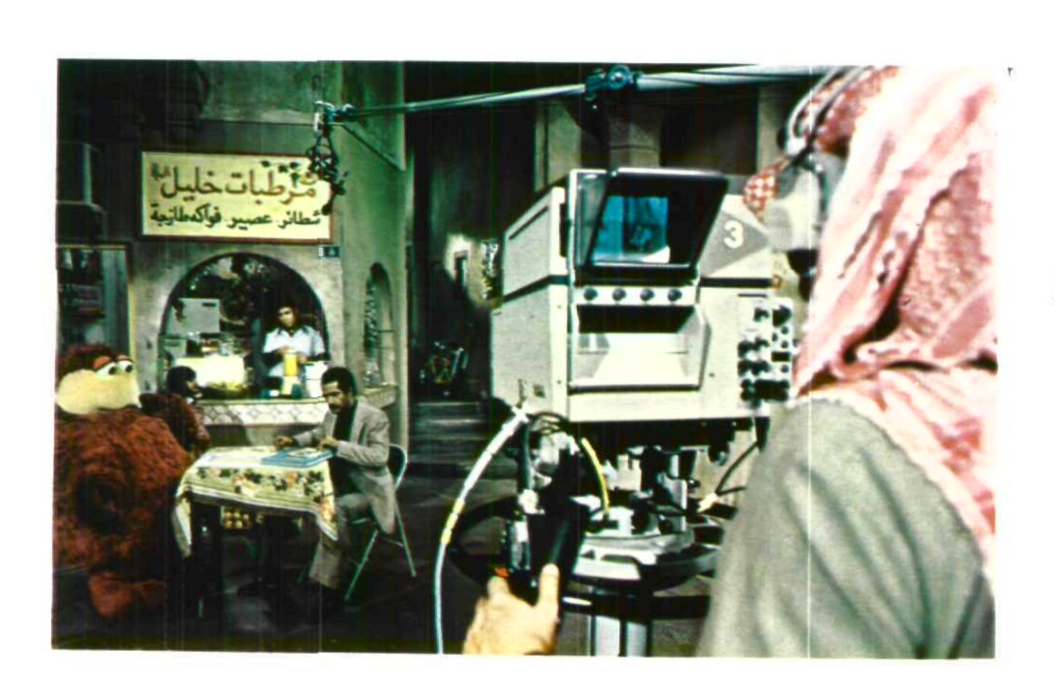
ومعيشتهم . وكذلك خصص نصيب للتعريف بالعالم العربي من الناحية الوطنية كاللغة والأعلام والمساجد والعادات وأهمية الثروات الطبيعية الموجودة فيه . وكذلك يتعلم الطفل بأن لكل شيء خالقاً وأن خالق الناس هو الله سبحانه وتعالى وان علينا عبادته وطاعته والسعي الى مرضاته.

يعتمد وقت اي لقطة وأسلوب عرضها على اولوية الهدف ومضمونه . وبما ان المسلسل موجه للاطفال اساساً فان طريقة ابراز المضمون بشكل مؤثر وممتع تصبح حساسة جداً نظراً لطبيعة مرحلة العمر من ٣ — ٦ سنوات من الناحية النفسية والاجتماعية والتعليمية . يقول مساعد المنتج السيد فاروق قيسي في هذا الصدد : « يجب الا يكون هناك اي خلط في حركة او حوار ، ان على المخرج ان يحقق الهدف من المضمون في لقطات قليلة ومبسطة ، وذلك في حد ذاته فن » .

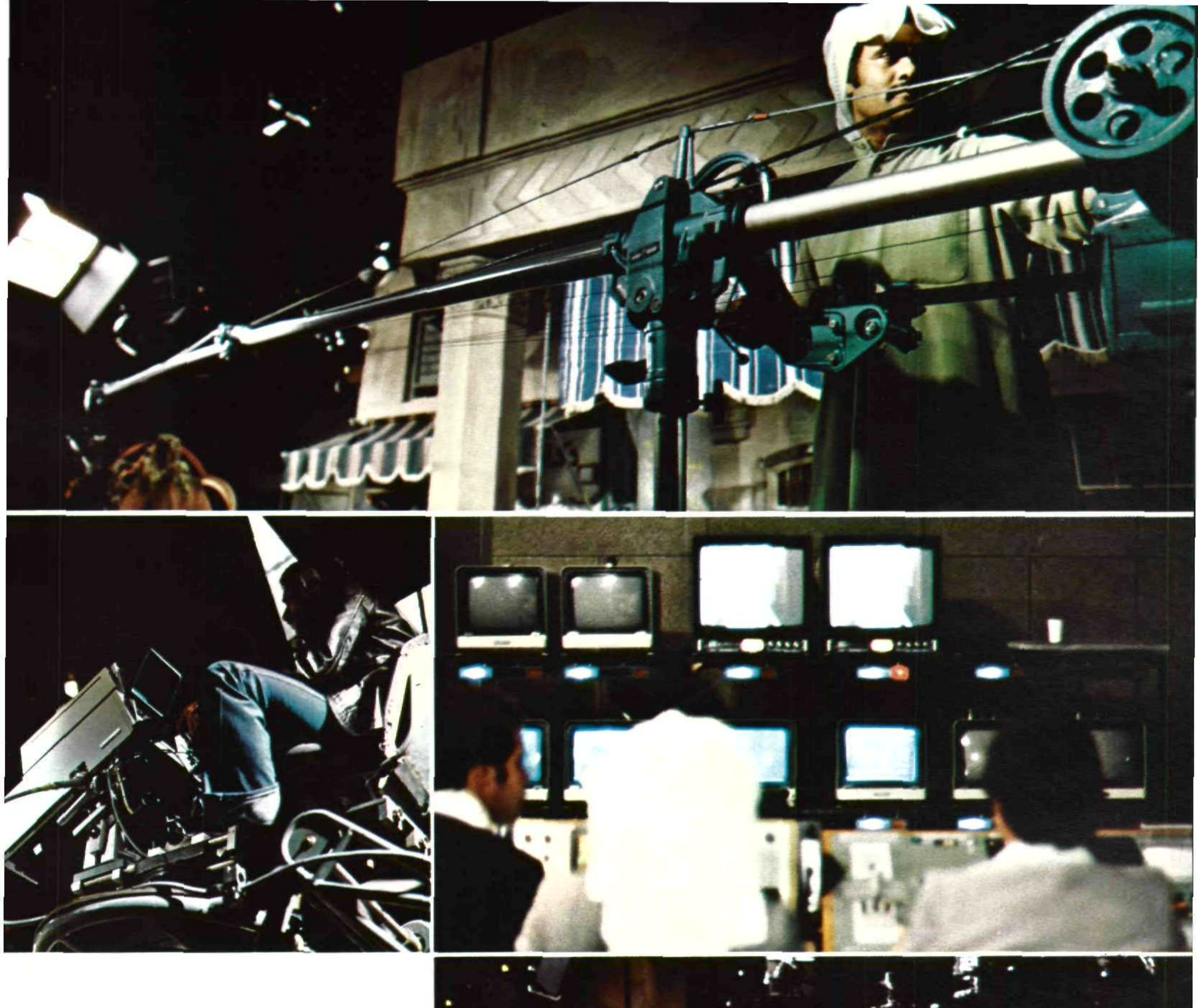
ومن المعروف ان تسمية البرنامج الامريكي الشهير « شارع السمسم — Sesame Street » جاءت من « افتح يا سمسم » العبارة التي وردت في قصة « علي بابا والاربعين حرامي » في « الف ليلة وليلة » . واذن فتسمية البرنامج العربي « افتح يا سمسم » ليس رجوعاً الى الاصل فحسب . بل هو ايحاء بجو عامر بالخيال والترقب والمتعة . انه بمعنى آخر، الرغبة في ان يفتح هذا البرنامج امام اطفال العالم العربي كهفاً من كنوز المعرفة والاثارة .

ولما كان مسلسل « افتح يا سمسم » هو باكورة مشاريع مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج ، فقد كرست له العديد من الايدي الفنية المتخصصة ليأتي متكاملاً وليسير الانتاج بعد ذلك على منواله . وفي هذا يقول السيد دونكان كنويرثي — المنتج الاستشاري المقيم لورشة التلفزيون للأطفال في نيويورك : « انه ولا شك مسلسل ناجح بكل معنى الكلمة ، وحتى قبل ان يبدأ بثه على الهواء . ان انتقال العمل التقني هو سر العمل الفني الناجح . فالمؤسسة تستخدم اسلوب ورشة التلفزيون للاطفال في عرض مسلسلات تلفزيونية تثقيفية وترفيهية . وقد تمكن العاملون في المشروع من انجاز الكثير خلال العامين الماضيين الامر الذي سينعكس صداه على الاعمال الفنية الاخرى في الاعوام القادمة » .

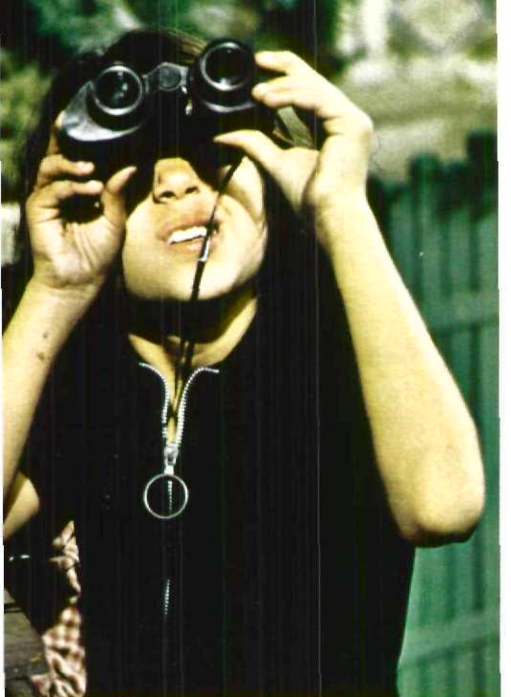
ويعلق السيد فيصل الياسري — كبير المخرجين . على مشروع برنامج « افتح يا سمسم » بقوله : لقد اثبتت المؤسسة بأن في امكان الفنيين العرب والكتاب والمخرجين والمنتجين والممثلين القيام بأعمال مرموقة . اذا ما وقفوا على قاعدة صلبة ذات اسس قويمة . وفي برنامج « افتح يا سمسم » اتبعنا خطى وتجارب اناس عملوا ونجحوا . وهو اول مشروع تلفزيوني عربي بهذا الحجم يجري التخطيط له مقدماً وبالكامل ثم يبدأ انتاجه حسب خطة منتظمة ومدروسة . فنحن نعرف مقدماً ما نريد عرضه قبل ان نطلب من المؤلفين والكتاب تحريره وتنقيحه . لقد امضينا اكثر من ٦٤ اسبوعاً في



برنامج عائلي يشاهده الصغار والكبار ويوفر فرصة للمحاورة والحديث بينهم .



١ – الفنيون في الاضاءة يعدون الأنوار اللازمة للمنظر الثاني . ٢ – المهندس حمد يري نعمان مجموعة من الصور الخاصة به أثناء جلوسهما أمام دكان المرطبات . ٣ – في في الصوت يمد السماعة للممثلين في لقطة تصويرية أمام ورشة هشام . ٤ – الفنيون في غرفة المراقبة منهمكون في عملية مزج الصور والصوت والموسيقى . ٥ – الممثلون والأطفال يشاهدون المنظر الذي تم تصويره للتأكد من اتقانه . ٦ – أحد المصورين يحاول التقاط منظر من مكان مرتفع .







عملية الانتاج وكنا نقف على كل خطوة من خطواتنا ونعمل متعاونين كفريق واحد في سبيل تحقيق اهداف البرنامج » .

هذا ، ويخطط المسؤولون عن البرنامج لدراسة نتائج بثه واذاعته لمعرفة مدى تأثيره على الناشئة ممن تتراوح اعمارهم بين الثالثة والسادسة ومقدار استفادتهم منه ، وكذلك معرفة آراء الآباء والمعلمين والمذيعين والمسؤولين في شؤون التربية والاعلام . وسيقوم عدد من الباحثين بزيارة عمان وتونس والقاهرة بالاضافة الى الكويت ، مركز المعهد ، لاجراء بعض الاختبارات على بعض الاطفال الذين شاهدوا « افتح يا سمسم » ومقارنة نتيجتها بنتيجة اختبارات سيجرونها على اطفال لم تسنح لهم فرصة مشاهدة المسلسل . وهذه المعلومات ضرورية ليس فقط لدى مراجعة بعض حلقات البرنامج وانما ايضاً للتخطيط للبرامج التربوية في المستقبل .

وبعد ، لقد نجحت مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك بطاقاتها البشرية العاملة من اداريين وممثلين وفنيين في اخراج هذا المسلسل التربوي الكبير . كما أن الأشخاص الذين يظهرون في البرنامج بصورة دائمة هم ممثلون عرب وممثلات عربيات من دول الخليج وغيرها من الأقطار العربية ، هذا بالاضافة الى أن الأطفال الذين اشتركوا في المسلسل يمثلون أطفال العالم العربي ، وقد تم اختيارهم من عائلات عربية تقيم في الكويت . أي أن الانتاج كان لقاء عربياً كبيراً .

والآن وقد اقترب وقت عرض هذا البرنامج فان انظار الصغار وأهليهم ومدرسيهم تتجه نحو هذا العمل الذي نأمل أن يكون فاتحة خير لبرامج أخرى مدروسة ، تعلم وترشد بأسلوب ممتع جذاب .

ابراهيم احمد الشنطي / هيئة التحرير

مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي — الكويت

تأسست عام ١٩٧٦ وهي تتألف من : الامارات العربية المتحدة ، والبحرين ، والسعودية ، والعراق ، وقطر ، والكويت .

أهم أهداف المؤسسة :

- احياء التاريخ العربي الاسلامي ، وابراز المثل العليا لدين الاسلام الحنيف والتعريف بأمجاد الاسلام وسير قادته وأبطاله .
- احياء التراث الخليجي وبخاصة الفنون الشعبية وتسجيلها تسجيلاً وثائقياً على افلام سينمائية ، والتعريف بمناطق الخليج العربي من جوانبها كافة .
- الارتفاع بمستوى الانتاج الفني للبرامج ، والقاء الضوء على الكفايات الفنية والادبية وتدريب الموهوبين ، وتشجيعهم على الابداع .

ثمرة ثلاث سنوات من التخطيط والبحث والانتاج العربي المشترك .

عدد من الأطفال الذين اشتركوا في المسلسل في لقطات متنوعة داخل الاستديو . والجدير بالذكر ان هذه الوجوه المتعددة تمثل مختلف الاقطار العربية من الخليج الى المحيط ، وعائلاتهم تقيم في دولة الكويت حيث يعمل ذووهم . ونراهم في الصورة العليا يرقصون فرحين ويبدو عليهم التعاون كأفراد اسرة واحـدة .

تصوير برنت مودي





دراسة علمية في حلقات حول

العلاقة بين التنمية والتغذية

«٢»

بقلم: الدكتور محمد سعيد الحفار

يتطلب فهم مشكلة التغذية في العالم حاجة الى فهم نسيج متشابك، متداخل من جملة من العوامل المترابط بعضها ببعض، اذ ان هذه المشكلة لا تتصف بالشمول من حيث نطاقها فحسب بل تتطلب في الوقت ذاته تركيباً من المساهمات من جانب مجموعة متنوعة واسعة من فروع المعرفة والممارسين المهنيين. فوضع مخطط لهذه المشكلة امر معقد. وخاصة اذا شئنا العمل ضمن اطار نظري ومعرفة حقيقية تبنى عليها برامج التغذية الخاصة بها.

فالاطار النظري لا بد منه لانه المنهج الذي يسمح بتحليل الاوضاع التي تتعرض للتغيير، ومن ثم بتقدير النتائج عندما يكون التغيير مخططاً. ويشتمل على تحليل للأنظمة البيئية والتكنولوجية والسكانية، وعلى ما تظهـرة الاحداث من ترابط فيما بينها. كما يشتمل على دراسات للتكنولوجيا المرتبطة بانتاج الطعام. وقد عرفت المجتمعات كافة معنى الجوع وخاصة في البلدان النامية حيث اقتنعت بأن التغذية مشكلة حقيقية تتطلب وضع برامج سليمة لحلها بعد مراعاتها لمختلف أشكال الجوع مثل نقص التغذية المزمن، ونقص عنصر أو خليط من العناصر الاساسية في الغذاء باعتبارها خطراً يهدد التنمية القومية. ولذا فان دراسة تطور الدول المتقدمة تدل على ان التغذية الجيدة كانت ولا تزال تستحق مكان الصدارة في خططها التنموية القومية. وتقوّم نتائج تلك الخطط على فترات زمنية آخذة بعـين الاعتبار عدداً من المعايير او المؤشرات.

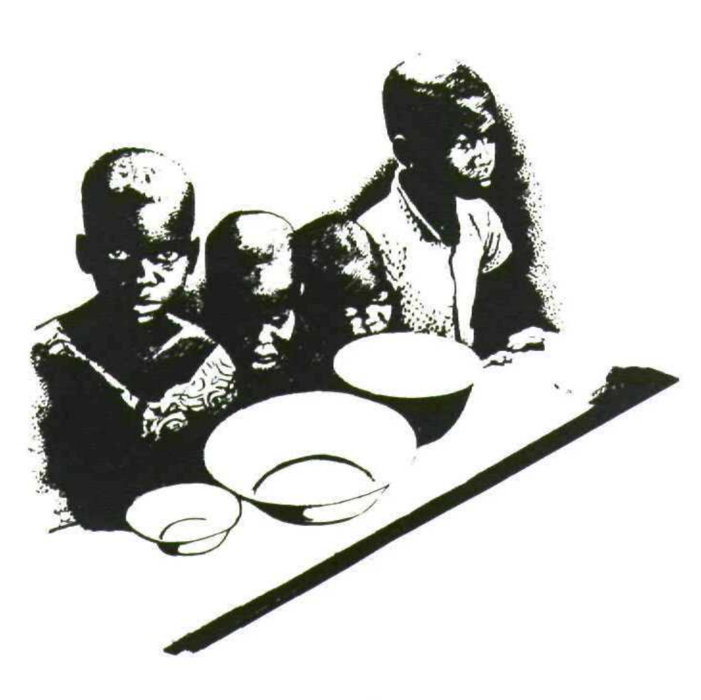
التغذية والاعتبارات السكانية

ولما كانت التنمية مرتبطة بشكل وثيق باعتبارات ديموغرافية (سكانية) وكانت تلك الاعتبارات ذاتها عاملاً اساسياً يؤخذ في الاعتبار في الدراسات الخاصة بالتغذية والطعام في بلد ما. فان معدل زيادة السكان يعني وجود عدد دائم من الاطفال الرضّع في طور النمو.،

وهم جميعاً فئة من الناس لا يساهمون بشيء في انتـــاج الغذاء . وكلما زاد عددهم اشتد الضغط والاستنزاف على موارد الطعام ، وازدادت الحاجة الى مزيد من الدراسة حول مستوى تغذيتهم وخاصة بالنسبة للتغذية البروتينية للاطفال لأنها ذات علاقة في المستقبل بنمو مقدراتهم الفكـــرية وقواهم العقلية كما اثبت ذلك العلم الحديث .

التغـذية وهجـرة الريف إلى المدينـة

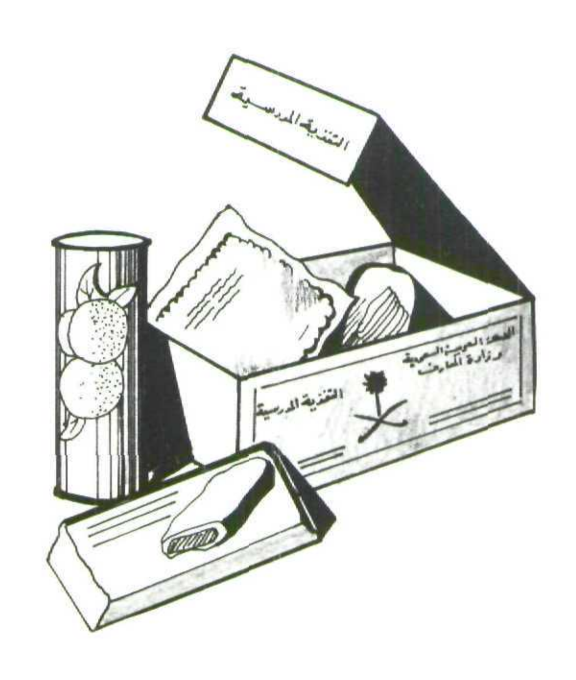
مشكلة ارتباط اخرى بين مشكلة التغذية وبين خطط التنمية الاقتصادية ، وهي هجرة الريف الى المدينة ، بحثاً عن العمل وعن الوضع الاجتماعي الأفضل . وجديـــر بالذكر ان الشباب الريفيين عندما يهجرون مزارعهـــم ويلتحقون بصفوف المشترين للطعام بدلاً من المنتجين له ، ويبقى الكثير منهم مدة طويلة بلا عمل ، فان تغذيتهم تتأثر من ذلك بشدة ، وكذلك تغذية أفراد عائلاتهم ، لان حالتهم الغذائية وحالة من يعيلونهم ترتبط دون شك بقدرتهم على الكسب ، ويضاف الى هذا كله ان الدخول العالية في المدن تغير طبيعة الطعام ونوعيته ، وبذلك تغير من نمط الطلب عليه . غير ان التنوع في الطلب على انماط الطعام المختلفة تخلق موقفاً حرجاً في قطاع التسويق ، والانتقال من الريف الى المدينة يخلق ايضاً مصاعب امام المدينة فيما يتعلق بقدرة المدينة على استيعاب هؤلاء القادمين الجدد في وظائف منتجة ، وهذا بدوره يخلق مصاعب جمة فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية وحتى في مجال الادارة ، وهذا يؤدي بدوره الى تفاقم أزمة التغذية في المدينة اكثر منها في المناطق الريفية . فالموقف الغذائي للمستويات الدنيا من سكان المدينة اكثر حرجاً وتفاقماً من الموقف الغذائي في فئات السكات الأخرى المقيمة في الـــريف .



أسـئلة تتطلب الجـواب

كيف يمكن تحقيق خطط التنمية في بلد ما ومجتمعه يغص بالآلاف بل بالملايين احياناً من الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية ؟ . لقد دلت الدراسات العلمية ان أطفال الامهات اللواتي يعانين من سوء التغذية يكونون عند الولادة أصغر حجماً من اطفال الامهات اللواتي يتمتعن بتغذية كافية ، كما ان وزن الطفل المنخفض عند الولادة يرتبط ارتباطاً مباشراً بعدم قدرته على البقاء لسنوات طويلة ، كما ان له علاقة مباشرة بالمعادلات العالية في وفيات الاطفال الحديثي الولادة والاطفال عادة يرضعون من امهاتهـــم ويكتفون الى حد معقول بلبن الأم حتى الشهر السادس من عمـــره .

وأوضحت الدراسات العلمية في هذا المجال ان الاطفال الافريقيين والاطفال الاوربيين ينمون بسير معدل متماثل



في الشهور الاولى من العمر . لكن الفرق في النمو يتسع منذ الشهر السادس ويزداد وضوحاً في الاطفال في عمـــر السنتين ، اذ يكاد يتوقف النمو كلية في الطفل الافريقي ذلك ان نقصان الاطعمة التكميلية الى وجبة الطفل منذ الشهر السادس بالنسبة للافريقي هي السبب في تخلف نموه ، وخاصة ما يتعلق بنسبة البروتين . ولم يعد خافياً تأثير التغذية على معدلات نمو الاطفال وعلى هيأتهم العامة ، نتيجة التذبذب في نموهم خلال المراحل الاولى من حيــاتهم .

ان سوء التغذية يعتبر سبباً من أسباب الوفاة على نطاق واسع كما انه قد يكون سبباً للاصابة بأمراض معدية او امراض تحول دون جعل الفرد قادراً على الانتاج ، وبالأحرى يصبح هذا الفرد المريض غير القادر ، غير المنتج عبئاً على المجتمع الذي يسعى للنمو والتقدم ، ويميل كثير من الاخصائيين العالميين الى اعتبار معدل التخلف الشديد في النمو كمؤشر على سوء التغذية البروتينية ، واستناداً الى ذلك ، فقد اتضح ان ٥٠ في المائة من الاطفال في افريقيا مصابون بذلك نتيجة سوء تغذيتهم ، وان اكثر من ٦٠ في المائة من مجموع وفيات الاطفال دون سن الخامسة في امريكا اللاتينية انما يعود الى سوء التغذية ، زد الى ذلك انه في بعض البلدان قد لا يصل ٥ في المائة تقريباً من مجموع اطفالها المولودين أحياء الى سن الخامسة ، فاذا كان سوء التغذية يساهم بهذا القدر الحاسم في هذه الوفيات ، فلا مفر من الاعتراف بخطورته البالغة وتقدير الخسارة التي تصيب امة من الامم في حياة اطفالها .

ان كل بلد يعتمد على اليد العاملة ، على الايدي المنتجة الفعالة لتحقيق اهداف تقدمه الاقتصادي ، ويكاد يكون من البديهي ان الشعب الجائع لا يمكنه تحقيق قدراته الكاملة ، كما ان الكفاية الانتاجية للافراد العاملين في الزراعة والصناعة تنخفض في حالة سوء التغذية ، فليس ثمة شك اذن من الارتباط الكامل بين العناية بالتغذية لأفراد الشعب واعطائها الاولوية ، وبين بقية الخطط الانمائية شريطة مراعاة العوامل الثقافية والنفسية ذات التأثير العميق الذي لا يقل عن تأثير نقص الغذاء .

والمشكلة هي ان التغذية تختلف عن غيرها من حيث انها لا تخضع ولا تستجيب لحلول فورية نظراً لتعقيدها حتى ولو نُظِر اليها على المستوى القومي ، ما لم تكن دراستها وبرامجها متصفة بالتنسيق والتكامل في كافة حلقاتها ، في ضوء تداخلها مع خطط التنمية في البلاد النامية التي تعتبر هي بحد ذاتها مشكلة تخصها لوحدها فقط .

وخلاصة القول انه يحسن بالمسؤولين في الدول النامية عامة ان يؤمنوا بحقيقتين هما :

* ان مشاكل الغذاء والتغذية هي من الخطورة بحيث ينبغي وضعها في الاعتبار ضمن تخطيط التنمية القومية.
* كل امة مهما كانت قاعدة التخطيط فيها ناقصة ، يجب ان تكون لها سياسة غذائية ثابتة تتلاءم وبيئتها وظروفها الاقتصادية وطبيعة شعبها ، والا ساد فيها سوء التغــذية ●

د . محمد سعيد الحفار / دمشق





للشاعر: محمد حمد الصويغ

أنا لولاكِ ما أقمتُ صُروحي … فوقَ ظنّي وشَقْوتي وجُروحي
حُلُمٌ أنتِ قد توارىَ ولكنْ … كيف أمحُو طمُوحَه وطُموحي
أخرَستني أوهام قلبي بوَهْمٍ … ليس ينْجو قتيلُه .. فاستَريحي

° ° °

أنا لولاكِ والحياءُ رفيقي … ما تغربتُ أو أسَغْتُ رحيقِي
كيفَ أعدو وراءَ ظِلّي طليقاً … وأنا الآنَ قد أضعتُ طريقي
ما انتهينا .. وقد نعيش لعهدٍ … دمّرَ الحبّ غيبَه .. فأفيقِي

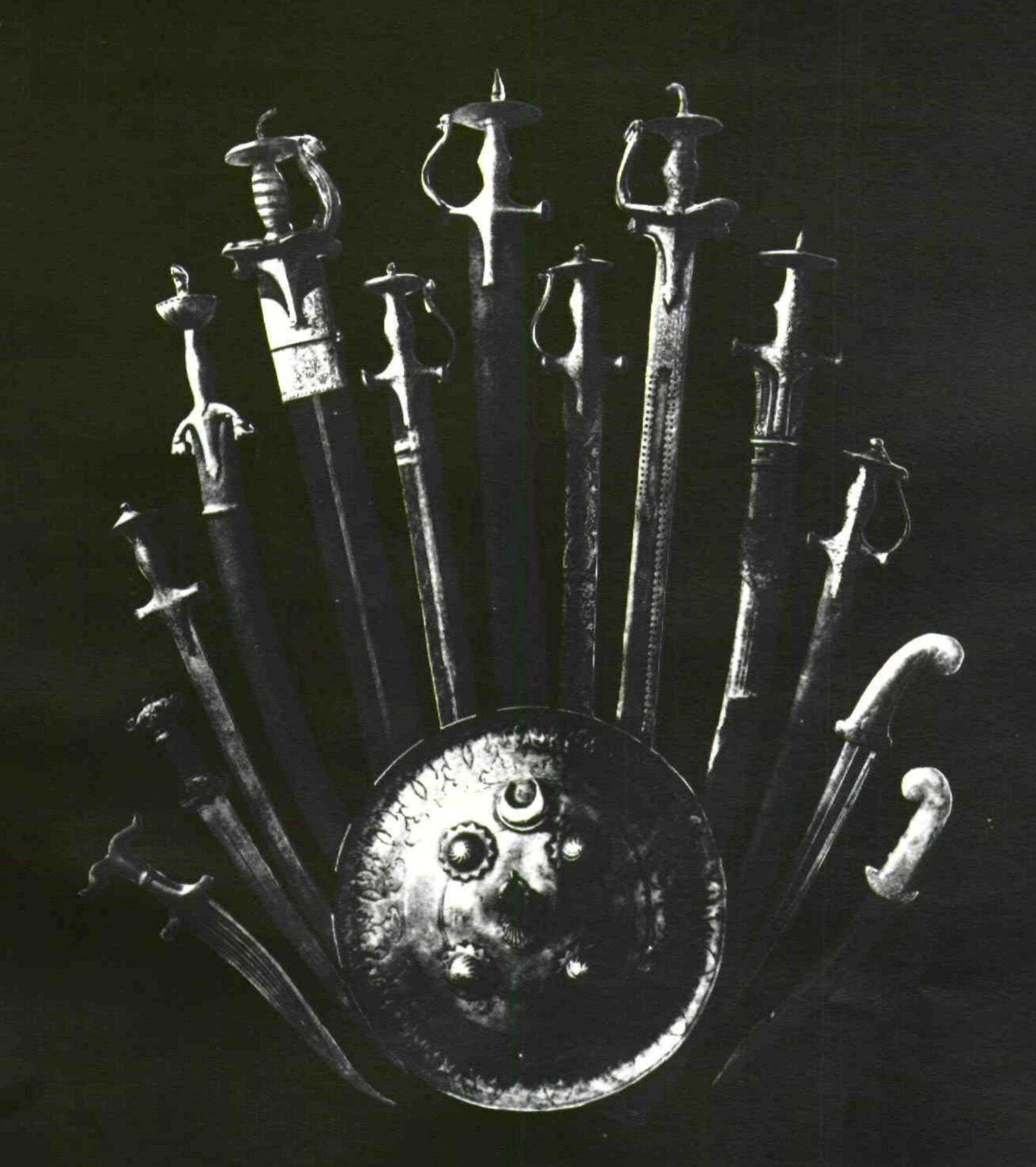
° ° °

أنا لولاكِ ما عرفْتُ جنوني … ذاتَ يوم وما عرَفتُ فتُوني
يا لها ضحكةُ الزمانِ .. أعادَتْ … بعضَ حُلمِي بسِحْرِها وشجُوني
انما الحظّ ساقَها ، أنا وهمٌ … كنتُ في ظلّه ، فماذا تكونِي ؟

° ° °

أنا لولاكِ لم أصُنْ كِبْريائي … فدَعيني أعيِشُ في خيلائي
مرّ أمسي .. كأنه ما تهَادى … بين أمجادِ عزتي وإبائي
تسأليني : ألستَ تجهلُ منه … بعضَ شيءٍ ، وكيفَ أجْهَلُ دائي ؟

محمد حمد الصويغ – الدمام



السيوف الاسلامية
ومميزات أصنافها

بقلم : الدكتور عبد الرحمن زكي



سيفان تركيان مختلفا المقبضين .

فقد السيف ، اليوم ، ما كان له من المكانة والأهمية في ميدان الصراع ، بيد أنه يعتبر رمزاً حياً لكثير من المعاني . ويكفي أن رفعه الى الهامة من أسمى ضروب الاحترام ، كما أن تقديمه أو تسليمه الى الغالب يعني الخضوع له .

بلغ السيف أوج القمة على جميع أصناف السلاح من القرن العاشر (ق . م) الى قبيل القرن العشرين ، أي بين قيام الامبراطوريات القديمة وفتوح التقنية الحديثة . ولم يعد السيف سلاح المقاتل الذي يعتمد عليه ، انما أصبح رمزاً للرجولة وتحية للتعبير عن التقدير ، وفي الوقت نفسه صار من المواد الأثرية والفنية التي يبحثها عالم الفنون ، أسوة بالخزف ، والسجاد ، والمعادن . وهكذا أصبح يعرض في خزانات التحف النادرة .

والسيف عند العرب ، منذ القدم ، من أهم مقومات الفروسية والبطولة . وها هو عنترة العبسي ينشدنا قائلاً :

ان لي همة أشد من الصخر
وأقوى من راسيات الجبال
وحساماً اذا ضربت به الدهر
تخلت عنه القرون الخوالي

ويفاخر المتنبي منشداً :

ويعرف السيف كفي أنني بطل
والرمح في ساعدي المفتول مطواع

وللسيف أسماء وتعاريف شتى ، لأنه عرف منذ القدم عند معظم شعوب العالم المتحضرة ، وكان له شكل خاص عند كل شعب . ومن هنا نشأت أشكاله الكثيرة ، وتطور بعضها مع مر الزمن ومع تقدم حضارة كل شعب . ولذلك لم يكن من اليسير أن يوضع له تعريف يميزه عن بقية الأسلحة اليدوية الشبيهة كالسكين مثلاً والخنجر ، ومع ذلك يمكن أن يعرّف السيف بأنه سلاح هجومي أو دفاعي يستعمل باليد ، له نصل طويل ، قد يكون مستقيماً أو منحنياً مصنوعاً من الحديد أو الصلب وهذا النصل مثبت في مقبض له في كثير من الأحيان واقية تقي اليد . وتتوقف وظيفة السيف في الطعن أو القطع على شكل نصل السيف واذا كان له حد أو حدان .

وللعلامة العربي الفيلسوف يعقوب بن اسحق الكندي ، الذي توفي بعد عام ٨٧٠ م بقليل ، رسالة قيمة عنوانها « في السيوف وأجناسها »(١) قسم فيها السيوف الفولاذية الى :

* **سيوف عتيقة من صلب قديم نوعه كريم وتتميز بمتانتها ولدانتها وهذه ثلاثة أصناف .**

— سيوف يمانية (نسبة الى اليمن) .
— سيوف قلعية (نسبة الى مدينة

(١) مخطوطة بمكتبة ليدن بهولندا رقم ٢٨٧ (Arab) نشرها كاتب المقال في مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة) مجلد ١٤ جزء /٢ في ديسمبر ١٩٥٢ ، ص /١ – ٣٦ .

قلعة من أهم مراكز التعدين في القـرون الوسطى) .

- سيوف هندية أو هندوانية وهي في قـدود القلعية .

وقد وصفها الكندي وصفاً مطولاً .

* **سيوف غير عتيقـة وتنقسم الى الأصناف الآتية :**

- السيوف البهانـج (٢) وعراض النصـال .
- السيوف الرثوث أو الرسوب (٣) .
- السيوف الصغار وتتميز بفرندها الدقيـق .
- السيوف السلمانية (٤) وهي لطاف العروض .

* **سيوف مولدة وتنقسم الى :**

- السيوف الخراسانية .
- السيوف البصْرية نسبة الى بُصْرى الشـام .
- السيوف الدمشقيـة وقد عرفت بجودتهـا .
- السيوف المصرية وتتميز بطولها .
- السيوف الكوفية ويطلق عليهـا البيض .

* **سيوف سرنديبية وتختلف بتنوع أمكنة طبعها وهي خمسة أصناف .**
* **سيوف مركبة وهـذه على صنفين :**

- سيوف فرنجية .
- سيوف سلمانية أيضاً .

وذكر الكندي أن هناك الحديد الأنثى (النوماهن) والحديد الذكر (شابرقان) .

السّيف في العالم الاسلامي

السيف هو الاسم الذي يطلق على هذا السلاح المعروف منذ القدم وهـو مصطلح عام بغض النظر عن صنفه أو شكله . والسيف عامة من حيث الشكل ينقسم الى صنفين : السيف المستقيم والسيف المقوس ، ولكل منهما أصناف في البلـدان المختلفة .

ونقصر الحديث هنا على السيف في العالم الاسلامي دون أن نتعرض الى السيوف غير الاسلامية ومنها السيوف الأوربية ، والسيوف الشرقية المعروفة في اليابان والصين واندونيسيا وغيرها .

وتقسم أصناف السيوف الاسلامية منذ فجر الاسلام وحتى القرن الثامن عشر ، وخاصة في بلدان الشرق الأوسط الاسلامي ، والأندلس ، الى عدة أصناف . وتؤكد الأدلة الأثرية والفنية على أن نصال السيوف الاسلامية كانت مستقيمة منذ زمن الجاهلية ، فصدر الاسلام الى حـوالي نهاية القرن الثالث عشر .

السيف المستقيم الاسلامي ومميزاته

وهو أهم أنواع السيوف الاسلامية ، وقد استخدم أجيالاً طويلة حتى أخـذ شكله في التطور تدريجياً منذ أوائل القرن الثالث عشر . فقد كان السيف المستقيم هو السائد المستخدم بين أسلحة الحضارات القديمة ، ومع ذلك فقد عرف في مصر القديمة سلاح ذو نصل مقوس بين السيف القصير والسيف العادي ، ومن المحتمل أن يكون السيف المستقيم قد نشأ في قلب آسيا ، وورث العرب في الجزيرة العربية نوع السيف المستقيم منذ العصر الجاهلي .

وتنقسم السيوف المستقيمة عنـد المسلمين الى :

- سيوف مستقيمة ذات حد واحد .
- سيوف مستقيمة ذات حدين وهي أكثر شيوعاً واستعمالاً .

وكلا الصنفين له أطراف مدببـة « مثلثة الشكل » ولم يصلنا من تـلك السيوف القديمة سوى عدد قليل جداً لا يتجاوز عشرة أسياف توجد اليوم في متحف « طوب قابوسراي » باستانبول .

ومن الجدير بالذكر أنه كان لبعض السلاطين المماليك المصريين وسلاطين آل عثمان الأول سيوف مستقيمة ذات حدين بالاضافة الى سيوفهم المقوسة . كما عرفت ايران الاسلامية الصنفين أيضاً . ولعل أقرب أصناف السيوف الاسلامية الى السيف الاسلامي القديم ، السيف السوداني المستقيم النصل الذي ظل معروفاً حتى أوائل القرن العشرين ، وتحتفظ المتاحف التاريخية في أنحاء العالم بطائفة من السيوف السـودانية .

ومما تتميز به السيوف المستقيمة ، أنه يمتد على نصالها شطبة أو شطبتان « قناة » وينتهي النصل بطرف مدبب « مخروطي الشكل » أو نصف مستدير ، وقبضة السيف مستقيمة تعلوها قبيعة كروية الشكل في الغالب أو مفرطحة ، وللقبضة واقية لها طرفان يتدليان الى الأسفل أو مصلبة الشكل فضلاً عن ظاهرة الفرند التي على جانبي النصـل كالتموجات .

وهكذا نرى أن السيف في العـالم الاسلامي ، كـان مستقيماً في العصر الجاهلي ثم في العصر العربي الأول ، فالأموي فالعباسي وفي البلدان التي قامت خلال ضعف الدولة العباسية ، كالسامانية والبويهية والصفارية ، وفي العصور الأولى

نصل سيف ايراني وقد نقش عليه اسم صانعه محمد زمان الاصفهاني .

(٢) البهانج سيف مستقيم النصل رقيق له طرف مدبب أو مستقيم . (٣) الرسوب هو السيف الذي يغيب في الضريبة . (٤) السليمانية مدينة قديمة في اقليم ما وراء النهر .

من الدولة السلجوقية والمملوكية المصرية وفي ايران والأندلس وتركيا والهند الى العصر الاسلامي المغــولي .

السيّف الاسْلامي المقوّس

يتوقف شكل النصل على الغرض الذي يستخدم من أجله ، للطعن أو القطع ، فلكل شكل منهما مزاياه . فالشعوب التي تعودت القتال على متون الخيل ، فضلت ، في وقت ما ، طراز النصل المقوس وذلك للحصول على أعظم قوة للقطع ، اذ أن عملية الضرب بالسيف المقوس تحدث زوايا حادة بين النصل والشيء المقطوع « المضروب » .

وقد استنتجنا من الدراسات الأثرية أن قبائل وسط آسيا من شعوب « الأبر — Avars » والمغول و « الهون — Huns » الذين يعرفون بالهياطلة وهم من شعوب المغول الذين أغاروا على أوروبا ، والترك ، هم الذين بذروا البذرة الأولى في تقوس نصل السيف وانحنائه تقويساً خفيفاً ثقيلاً ومما يدل على ذلك نصال السيوف الأثرية والمجرية التي عثر عليها في حفريات المجر والتي تنسب الى القرون السابعة والثـامنة والتاسعة الميلادية .

ويلاحظ كما سبق أن تطور السيف المستقيم الى السيف المقوس ، لم يتم دفعة واحدة ، بل أنه أخذ يتطــور ببطء ، واستغرق ذلك التطور عدة قرون الى أن وصلت درجة التقوس « الانحناء » الى درجة كاملة ، كما هو الحال في السيف الايراني المعروف بـ « الشامشير — Shamshir » .

أصناف السيّف المقوّس

عرفت هذة الأصناف في أهم البلدان الاسلامية منذ القرن الخامس عشر تقريباً على هدى الآثار وما وصل الينا منها . الا ان معظم ما وصلنا من السيوف القليلــة التقوس ينتمي الى نــوع « القليج — Khilij » العثماني أو « اليتغــان — Yataghan » الذي انتشر استخدامه في معظم البلدان التي خضعت للسيادة العثمانية منذ القرن الخامس عشر .

القـليـج

هو واحد من السيوف المقوسة قليلاً ، يتحول فيه الظهر أو ينتقل من نصل ذي حد واحد قبيل طرف السيف فيصير حدان بزاوية واضحة . وقد انتقل استخدام هذا النوع من البلاد العثمانية الى ايران ، كما تسرب الى مصر في العصر المملوكي المتأخر . ومن المؤكد أن القليج كان سلاح الأتراك المفضل منذ نهاية القرن الخامس عشر الى جانب السيف المستقيم الــذي استخدموه من قبل . ومن مميزاته أن طرفه يتضخم فيزداد تدريجياً وقد اختصر الصانع قليلاً من طوله ليسهــل على الفارس استخدامه ثم استغنى عن واقيته التي تقي اليد . وقد انتقل استخدام القليج الى بعض بلدان البلقان والمجر وبولندا وبلاد العالم الاسلامي .

ويؤدي « القليج » وظيفتي الطعن والقطع على عكس الحالة تماماً في السيف الايراني « الشامشير » الذي يعتبر بحق السلاح الكامل للقطع فقط . ويوجد عدد وفير من القليجات في متاحف الآثــار والسلاح ، كما توجد أيضاً في متحف الفن الاسلامي في القاهرة . وأهم القليجات النادرة توجد في متحف طوب كابوسراي .

اليتاغان

من المرجح أن منشأه يرجع الى زمن سحيق ، عرفه المقدونيون القدامى وسكان فارس القديمة ، ثم ظهر في اسبانيا حوالي القرن الثالث ق . م . واستقر طويلاً في ايران لا سيما في شمالها الغربي ، ثم عرفه بنو عثمان وأبناء بعض الشعوب المجاورة لهم ، واتخذه الألبان سلاحاً وطنياً ، وكان انتشار استخدامه في البلدان الأوروبيــة سريعاً لا سيما في تلك التي دانت للحكم العثماني منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ومن مميزاته أنه مزدوج الانحنـــاء قليله ، وذو نصل واحد ، وفيه يتفق انحناء



مجموعة من السيوف في أغمادها .

سيف سوداني مستقيم النصل ، تتوسطه ثلاثة شطب .

خط النصل بدقة وانسجام مع حركة معصم اليد أثناء الطعن ، ويمتاز عامة بثقله الأمامي عند الطعن مما يساعد المقاتل على القطع السريع . كما تتميز قبضته بأنهـا تنتهي بما يشبه الأذنين البارزتين ، وليس لمقبضه واقية كما هو الحال في القليج أو الشامشير الايـراني .

الشامشير

كانت ايران منذ العصور القديمة لا سيما في العصر الساساني من أعظم الميادين الفنية شأناً في صناعة السلاح ، ويستدل على استقامة السيوف الساسانية من النقوش المنحوتة في الصخور التي تزخر بها ايران . ومعظم سيوفها كانت طويلة النصال لها حد واحد ، ولكن في كثير من الأحيان كان لها حدان . واستمرت للايرانيين مكـانة مرموقة في صناعة السلاح بعد أن أصبحت بلادهم جزءاً من العالم الاسلامي ، ولعل أهم الفترات ازدهاراً في صناعة السـلاح الايراني هـي :

- الفترة التي تبدأ في أوائل القـرن السادس عشر الى سني حكم الشاه عباس الصفوي الكبير (١٥٨٧ — ١٦٢٩)وهي فترة الاخصاب والازدهار للسيف ، ويوجد من نماذج هذه الفترة سيوف هامة معظمها من عمل صانع السيوف الشهير « أسد الله الأصفهاني » .
- الفترة التي تشتمل على العصر المتأخر لحكم الصفويين وسني حكم نادر شاه (١٧٣٥ — ١٧٤٧) وأهم صناع هذه الفترة ممثلة خير تمثيل في مجموعة متحف « والاس » في لندن وهي كثيرة .

وقد ظهر الشامشير في ايران منذ القرن السادس عشر أو بعد ذلك بقليل . وهو سيف للقطع ضيق النصل ، من حيث العرض ، لكنه سميك . وفي غالب الأحيان ينقش عليه اسم الصانع أو اسم الشخص الذي يصنع السيف له ، كما يدون عليه تاريخ الصنعة وليس له سوى حد واحد .

وتتميز قبضة الشامشير ببساطتهـا وبخفتها ولها واقية مصلبة الشكل وينتهي من أعلاه بقبيعة تتجه بزاوية الى أحـد الجانبين . وقبضته شبيهة بقبضة المسدس وليست الشماشير جميعها على درجة مشابهة واحدة في التقوس ، فهي مختلفة بعضها عن بعض ، ولذلك تتفاوت درجة استعمالها في الضرب .



مجموعة من السيوف الاسلامية من طـراز « الشامشير » وهي مشهورة بجمال نصالها وبديع جوهرهـا .

السيف الاسلامي في الهند

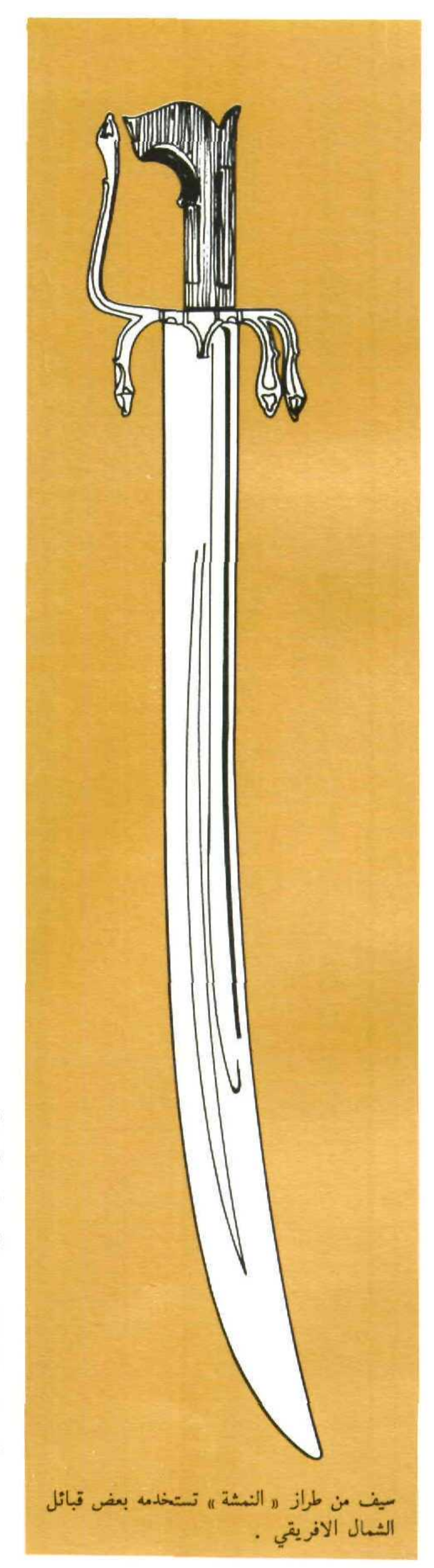
عرفت أهم أصناف السيوف الاسلامية في الهند في أعقاب الفتوح الايرانية والأفغانية واعتناق كثير من الهنود الدين الاسلامي منذ القرن الثاني عشر . ومن تلك الأصناف :

الخاندا ، التالوار ، التيجا ، والباتـا ، والسوصون ، باتا والياتغان الهندي ، الدّاها ، الكورا ، البولوار ، الكوكري .

فالخاندا — Khanda ، هو السيف الوطني لاقليم أوريسا « على ساحل شرقي الهند » وهو ذو حدين ، ومستقيم النصل ، ويتسع قليلاً عند منتصفه الى طرفه المستدير .

والتالوار — Talwar ، نصله قليل الانحناء أو كاملة . ويطلق التالوار على كل سيف مقوس في الهند ، ويكاد أن يكون أكثر أنواع السيوف انتشاراً في البلاد ، وتختلف نصاله كثيراً في الطول وفي درجة التقوس ، ويتميز بشكل مقبضه .

والتيجا — Tegha ، سيف عريض مقوس النصل ويستعمله الهندوكيون



سيف من طراز « النمشة » تستخدمه بعض قبائل الشمال الافريقي .

الرانجار ومسلمو الراجبوت ويسمى أحياناً « نمشة — Nimcha »(١) .

والباتا — Patta . سيف مستقيم ذو حدين ، وكان السلاح المفضل عند الماهراتا ، وعرفته معظم شعوب الهند . وقد استخدمه أيضاً المسلمون .

وسوصون باتا — Sosun Patta ، سيف عريض النصل وقصير ومنه أنواع قليلة التقوس عرفته شعوب هندية كثيرة ، ويعتبر أقدم أسلحة المغول . وقد وصل الينا سيف السلطان جلال الدين أكبر وقد نقش عليه عام صنعه.

والياتغان الهندي يشبه الياتغان التركي له نصل مزدوج الانحناء .

والدّاها — Daha . سيف بورمـا الوطني وليست لقبضته واقية . أمـا النصل فتقوسه قليل وله حد واحـد ويحلى النصـل والمقبض بزخارف ونقوش . ويعرف الدّاها أيضاً في البلدان المجاورة لبورما .

والبولوار — Pulwar ، سيف هندي لقبضته واقية قصيرة تتجه نحو النصل وله قبيعة نصف كروية .

وفي الهند أنواع أخرى من السيوف والخناجر منها الكوكري وتستخدمه قبائل الجوركا في نيبال ، وله نصل مقوس ذو حد واحد وقبضته مستقيمة ومنها الجوهر والسيروهي واللالي وغيرها .

ويعتبر السيف الاسلامي المغولي في الهند استمراراً للسيف الايراني ، وقـد انتقلت صنعته تدريجياً الى الصناع الهنود متخذين الأساليب الايرانية التي وجدت لها وطناً ثانياً حيث ترعرت خلال القـرن السابع عشر .

ونلاحظ أن الهندوكيين ظلوا متمسكين بأنواع سيوفهم المحلية لا سيما النـوع المسمى خاندا ، أقدم أنواع السيف في الهند القديمة .

السيف الاسلامي في مصر والشام

ورثت مصر والشام السلاح التي استخدمها المقاتلون العرب منذ فتحهم تلك البلاد . فقد كانت غالبية المجاهدين من القبائل العربية الفاتحة كما هو معروف . ولم يكن للمصريين أو السوريين أنواع اختصوا بها من السيوف حتى القرن الثالث عشر (العصر المملوكي) .

وبالرغم من أنه كانت في البلدين سوق زاهرة لتجارة السلاح ولصناعته ، وفقد اشتهرت السيوف الدمشقية والقاهرية في العصور الوسطى ، تلك التي كانت تتخذ نفس الطرز الايرانية والتركية الأصلية .

والمعروف أنه كان في العصر الفاطمي ، خزانة عظيمة للسلاح احتوت بين جدرانها على طائفة من أهم السيوف العربية القديمة وآلاف القطـع من الخوذ والدروع والتجافيف ، وهي آلات للحرب يلبسها الفارس ، ويبقى بها كأنها درج ، وترادف كلمة البركستوان التي استعملت في عصر المماليك ، فضلاً عن المحـلاة بالذهب والفضة والسيوف الحديدية وصناديق النصال وجعاب السهام وصناديق القسي ، والرماح والزرد ، والبيض (الخوذة) . وفي أيام الأيوبيين والمماليك نمت صناعة السلاح بأنواعها فقد كانت عهود جهاد متواصلة ضد المعتدين على البـلاد .

السيف في شمال افريقيا والأندلس

وكانت سيوف قبائل البربر مستقيمة النصال مثل سيوف العرب ، وكـانوا يستخدمون المدى ذات النصال الطويلة القليلة الانحناء مع السيوف . ومنذ تغلب العرب على البربر واعتنق هؤلاء الاسلام تآلف الشعبان وتعاونا في الفتوح ، فغزوا اسبانيا وصارت منهم فيما بعد غـالبية الأمراء والمجاهدين . وقد عرف عن البربر

(١) تعتبر النمشة صنفاً من سيوف المغرب بالشمال الافريقي وهي قصيرة النصل وقبضتها على شكل زاوية قائمة وتتدلى طرفا الواقية الى الأسفل .

منذ القدم مهارتهم في صناعة أدوات القتال لا سيما الأسلحة البيض لتوافر الحديد في بلادهم ، وصنعوا منه أجود الأسلحة . ومن أهم أنواع السيوف في شمال أفريقيا وفي المغـــرب :

– الفليسة – Flyssa ، وهـــو السيف الوطني عند بعض القبائل المغربية ، ونصله مستقيم ذو حد واحد ، ويمتاز طرفه بطـــوله وامتداده . ويتسع عرض النصل ويمتاز عند نقطة الضرب ثم يقل الى نصف هذه السعة وينفرج ثانية بالقرب من القبضـــة . ويختلف طول النصل بين ١٢ و ٣٩ بوصة . وقبضة الفليســـة صغيرة وواقيتها تنحني الى الأسفل وأحياناً لا تكون للفليسة واقيـــة .

– الكاسكرا – Kaskara ، سيف قبائل الباجوس في الصحـــراء الكبرى ، وهو مستقيم وواقيته مصلبة الشكل ، ويشبه السيف السوداني المستقيم الذي استخدم حتى أوائل القرن العشرين ، وله حدان وتتوسطه أحياناً شطفـــة « قنـــاة » .

– التاكوبا – Takoba ، سيف قبائل الطوارق « الملثمين » سكان قلب الصحراء الكبرى وله نصل مستقيم يقدر طوله بقرابة ثلاثة أقدام ونصله عريض ، وله حد واحد وطرفه مستدير ، ولقبضته الصغيرة واقية في أسفل القبيعـــة وأحياناً له حدان . وشكل القبيعة مخروطية ومسطحة ، وترد النصال الجيدة لهذه السيوف من أوروبا .

سيوف الأندلس

جلب الفاتحون العرب الى الأندلس صناعة السيوف على طريقتهم الموروثة ، ومع ذلك لا يمكن أن ننكر شهرة كثير من المدن الاسبانية بصناعة السلاح وخاصة السيوف . ومن تلك المراكز مرسية وأشبيلية والمريّة ، وغرناطة . ولا شك أن طليطلة بلغت مكانة مرموقة في تلك الصناعة حيث تنسب اليها السيوف الطليطلية الى يومنا .

ومما يؤسف له أنه لم يصلنا سوى قليل جداً من سيوف الأندلس ، ولعل من أهمها سيوف أبي عبيد الله ، سلطان غرناطة ، وهو آخر الحكام المسلمين في الأندلس ، والسيف الأندلسي طويل النصل ومستقيم ، وهو ذو حد واحد وطرفه أطول من أنواع السيوف الاسلامية الأخرى ، كما يختلف أيضاً عرضاً من القبضة الى الطرف .

سيوف اسلامية وطنية

وهناك من الأصناف اسمه « القامة – Qama » ، وهو سيف الجراكة الوطني ، وتختلف القامات من حيث الحجم والطول ، وكثيراً ما تزين مقابضها المعدنية وتعرف باسم « الشاشقة – Shashqa » عند أهالي القوقاس ، وهي مستقيمة النصل وتنتهي أحياناً بتقوس قليل وخاصة بالقرب من الطـــرف وليس للمقبض واقية . ويستخدم القوقاسيون أيضاً سيفاً يعرف بـ « القدّارة – Qaddara » ، وهو طويل النصل وذو حدين ومدبب الطرف . أمـــا مقبض القدارة فطويل نسبياً ●

د . عبد الرحمن زكي / القاهرة


سيف تركي الأصل فارسي النصل يرجع عهده الى ما بين القرن السادس عشر والقرن السابع عشر .

أخبار الكتب

● مع ازدياد الاهتمام بتطور العلوم وبترجمة الكتب العلمية، نشطت حركة إصدار المعاجم وقوائم المصطلحات. فصدرت طبعة رابعة من «معجم المصطلحات الفنية» الذي أعدته لجنة من الخبراء ونشرته الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة. وفي سلسلة «المعاجم التكنولوجية التخصصية» التي يشرف عليها المهندس الدكتور أنور محمود عبد الواحد ويقدم لها الدكتور المهندس حسن مرعي، وتنشر باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والعربية بالتعاون بين مؤسسة الاهرام والمؤسسة الشعبية للتأليف في لايبزج، صدرت أربع حلقات جديدة هي: «معجم العمارة وإنشاء المباني» وقد صنفه الدكتور توفيق أحمد عبد الجواد، و«معجم الهندسة الزراعية» وقد صنفه المهندس محمد عبد المجيد نصار، و«معجم هندسة الطيران» وقد صنفه الأستاذ محمد عبد المجيد الزميتي، و«معجم هندسة السيارات» وقد صنفه المهندس محمد عبد المجيد نصار.

وصدر عن مجمع اللغة العربية الأردني كتيب عنوانه «تعريب رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاتها». كما صدر للدكتور وليم الخولي معجم موسوعي عنوانه «الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي» وهو من طبع دار المعارف.

● أصدر الأستاذ يوسف أسعد داغر «قاموس الصحافة اللبنانية ١٨٥٨ - ١٩٧٤» وهو سجل ببليوغرافي ضخم يقع في نحو ٦٠٠ صفحة يؤرخ لنحو ٢٥٠٠ صحيفة ودورية أصدرها اللبنانيون في لبنان والخارج، وقد نشرته الجامعة اللبنانية.

كما صدر للأستاذ داغر «معجم المسرحيات العربية والمعربة» في أكثر من ٧٠٠ صفحة وهو يؤرخ للحركة المسرحية في العالم العربي تأريخاً دؤوباً ويرصد كل ما صدر من كتب خاصة بالمسرحيات أو بتاريخ المسرح وكل ما يتعلق بفرق التمثيل في العالم العربي. وقد صدر الكتاب عن وزارة الثقافة العراقية. وأيضاً سيصدر له كتاب ببليوغرافي شامل عن «المرأة العربية» يشتمل على كل ما يتناول دور المرأة في الحركة الأدبية والفكرية في لبنان والخارج منذ عام ١٨٥٠ الى اليوم وفيه ما يزيد على ٤٠٠٠ مدخل.

● الاتجاه الجديد في نشر الشعر ينحو نحو اخراج المجموعات الشعرية الكاملة للشعراء. وقد صدرت في الأوان الأخير طائفة غير قليلة من هذه المجموعات منها «ديوان بدوي الجبل» للشاعر السوري محمد سليمان الأحمد، وقد صدر بمقدمة مسهبة للأستاذ أكرم زعيتر عن دار العودة، و«ديوان محمود أبو الوفا». وقد اشتمل الديوان على شعر الشاعر الراحل والدراسات التي نشرت عنه، وصدر عن الهيئة العامة للكتاب، والجزء الأول من «ديوان العواد» للشاعر السعودي المعروف الاستاذ محمد حسن عواد، وهو يضم دواوينه الموسومة «آماس وأطلاس» و«البراعم» و«نحو كيان جديد» وقد طبع بمطبعة نهضة مصر، ويصدر قريباً الديوان الكامل للشاعرة جميلة العلايلي، كما تصدر تباعاً عشرة دواوين جديدة للشاعر المعروف حسن كامل الصيرفي. وصدر للشاعر السوري الأستاذ عدنان مردم ديوان «نفحات شامية» عن مؤسسة الرسالة.

● من الكتب الجديدة التي تصدر قريباً كتاب «الموجز في التراث العلمي العربي الاسلامي» للدكتور علي عبد الله الدفاع، عميد كلية العلوم بجامعة البترول والمعادن بالظهران.

● صدرت في الرياض سلسلة جديدة عنوانها «مكتبة الدراسات»، كانت الحلقة الأولى منها كتاباً عنوانه «القصة القصيرة في مصر ومحمود تيمور» وهو من تأليف الأستاذ حمزة محمد بوقري.

● في ثلاثة أجزاء ضخام تصدر قريباً الطبعة الرابعة من كتاب «المستشرقون» للأستاذ نجيب العقيقي، وهو يتقصى حركة الاستشراق وأعلامها في جميع أنحاء العالم ويعرف بآثار المستشرقين المنشورة والمخطوطة.

● صدر للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي كتاب في جزءين كبيرين عنوانه «دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه»، وقد نشرته مكتبة الأزهر.

● «أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب» دراسة جديدة في الشعر المهجري بقلم الدكتور نظمي عبد البديع محمد صدرت عن دار الفكر العربي.

● آخر حلقة صدرت في سلسلة المكتبة الصغيرة كتاب في سيرة «أرطأة بن سهية» وهو من تأليف الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ناشر هذه السلسلة النفيسة.

● ما زالت الأديبة العربية الراحلة «مي زيادة» تستأثر باهتمام الباحثين. وآخر ما صدر من كتب عنها كتاب «الشعلة الزرقاء» وهو يضم الرسائل المتبادلة بين مي وجبران خليل جبران وقد جمعت فرائده الأديبة السورية السيدة سلمى الحفار الكزبري وكتاب «التوهج والأفول» وهو دراسة في حياة مي وشخصيتها وأدبها وفنها وقد صدر للأديبة روز غريب عن مؤسسة نوفل. كما تصدر دراسة موسعة عن مي والجوانب المجهولة في حياتها ومحنتها وآثارها غير المعروفة، وهي أيضاً من اعداد الأديبة السورية السيدة سلمى الحفار الكزبري.

● صدر للدكتور حسين مجيب المصري كتابان جديدان هما «اقبال والقرآن» وقد نشرته مكتبة الانجلو المصرية، و«الأدب التركي» وقد صدر في سلسلة «كتابك» عن دار المعارف.

● الاستثمار المصرفي - شركات المساهمة في التشريع الاسلامي «دراسة جديدة صدرت للمؤرخ الحجازي الأستاذ أمين مدني وطبعت في مطبعة الحضارة العربية بالفجالة «مصر».

● ظهرت عن دار الشرق ببيروت طبعات جديدة من آثار القاص السوري عبد السلام العجيلي وهي رواية «باسمة بين الدموع» ومجموعتان من الأقاصيص هما «بنت الساحرة» و«قناديل اشبيلية».

● «في ربوع الأندلس» كتاب جديد للدكتور عيسى الناعوري صدر عن الدار العربية للكتاب وفيه خواطر أندلسية بعد زيارتين قام بهما الأديب الشاعر للآثار العربية في اسبانيا.

● أصدر مجمع اللغة العربية في دمشق فصلة خاصة من مجلته في موضوع «تنسيق حركة الترجمة في البلاد العربية».

● يعكف الدكتور فؤاد صروف رئيس التحرير الأسبق لمجلة «المقتطف» على تدوين ذكرياته الأدبية عن الأعلام الذين اتصل بهم كالشاعرين شوقي وحافظ ومصطفى صادق الرافعي والعقاد وطه حسين والمازني وشبلي شميل ومي وخليل مطران ومن اليهم.

● أصدر مجمع اللغة العربية الأردني مجلة فصلية جديدة طبع منها عددان.

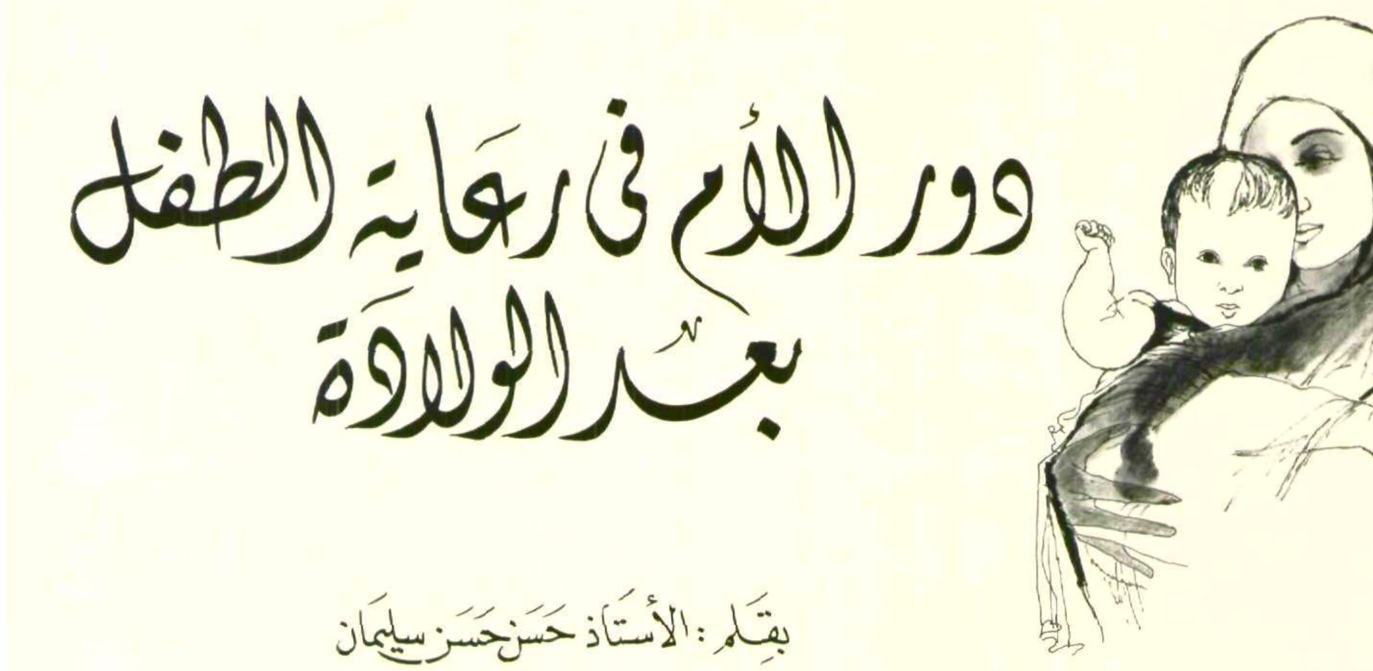
كما صدرت في القاهرة مجلة «المنتدى» الفصلية وهي تعنى بالثقافتين والحضارتين العربية والفارسية ويحررها الدكتور نور الدين آل علي ويشرف عليها الدكتور يحيى الخشاب. وقد صدر من هذه المجلة عددان.

● «خمسون عاماً في القضية العربية» كتاب ضخم في ألف صفحة صدر للأستاذ الراحل محمد علي الطاهر وفيه ذكرياته عن أقطاب العرب ومقالاته الوطنية التي كان فيها من رواد العروبة الأوائل. وقد صدر الكتاب عن مؤسسة دار الريحاني ببيروت.

● آخر ما كتبه الشاعر الراحل محمود أبو الوفا كتاب يتضمن آراءه التربوية والأخلاقية وعنوانه «هؤلاء أولادي»، والمنتظر صدوره قريباً.

● رسالة دكتوراه عن الشاعر اللبناني بولس سلامة أعدها الأديب رفيق عطوي وهي قيد الطبع. كما صدر للدكتور فوزي عطوي كتابان جديدان هما «الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة» وقد نشرته دار الكاتب العربي في بيروت و«ابن رشد فيلسوف العقل» وقد صدر عن دار أخبار الخليج في المنامة.

بمناسبة عام الطفل الدولي



دور الأم في رعاية الطفل بعد الولادة

بقلم : الأستاذ حسن حسن سليمان

تخضع الأم منذ الولادة لحالة نفسية خاصة تجعلها تستجيب للاحتياجات الحيوية التي يتطلبها طفلها ، فوجود الأم يُتيح لطفلها الاستمرار في الحياة ، ليس فقط عن طريق ارضاعه وتغذيته وانما بما تقدمه له من رعاية واهتمام وحنان ، مما يساعده على السير في طريق النمو وفهم العالم المحيط به والذي لن يبدأ في التعرف اليه الا بعد الشهر السابع ، حيث يبدأ في التعرف الى وجه أمه وتمييزه عن سائر الوجوه والأشياء المحيطة بـه .

وحتى تستطيع الأم تأمين الانطلاق الجسدي والنفسي لطفلها بعد الولادة يجب أن تكون مهيّأة لتحمل هذه الحالة من الافراط في الحساسية غير العادية التي قد تصل الى حد المرض ، الى أن تبدأ في التخلص منها تدريجياً بعد ذلك . ومما يساعدها في ذلك أن تكون في صحة جيدة.

فالطفل الذي تظل أمه قريبة منه بدرجة كافية يحقق الانطلاق الجسدي والنفسي بمعدل أسرع وبطريقة أفضل ، ولذلك وجب أن توفّر للأم المقبلة على الوضع أقصى درجة من الراحة النفسية والمادية لتجد نفسها في أحسن الظروف للاقبال على تربية وليدها ، ويستلزم ذلك مجموعة من التدابير الاجتماعية التي تتيح للأم التفرغ تماماً لحمل مسئولية الطفل خلال مرحلة ما بعد الولادة . فحب الأم وحنانها يظلان العنصر السائد والمحرك في عملية نمو الطفل .

ان القصور في عناية الأم بالوليد لا يوفر له الحماية ضد ردود الفعل الشديدة التي يتعرض لها في حياته الأولى وضد الصدمات التي تحدث له خلال فترات من العمر يفترض فيها أن تكون خالية منها ، اذ أن خطورتها تكمن في حدوثها بصورة دائمة أو متكررة . فالأم وحدها هي التي يمكن أن تقدم لوليدها نوعاً من الحماية ، وهي التي تستطيع اشباع متطلباته التي تكون في البداية جسمية ثم تصبح بعد ذلك اجتماعية ، بمعنى أن بكاءه في البداية قد يكون بسبب احساسه بالجوع أو الألم ، ثم يدرك بعد ذلك بتكرار التجربة أن وجود أمه الى جواره يجلب له الراحة والطمأنينة فيبكي بعد ذلك لكي تقترب منه .

ان القدرة على تهدئة الطفل ونقل الاحساس بالأمن والطمأنينة اليه اذا كان عصبياً كثير البكاء ، تستلزم قدراً من الصبر والاستعداد والتهيوء ، فاذا زاد اضطراب الطفل فانه يحتاج الى فترة طويلة حتى يعود الى هدوئه . ومن هنا كانت الحاجة الى حجرات هادئة للأطفال الرضّع منفصلة عن باقي حجرات المنزل . وقد يندفع الطفل في البكاء لغير سبب معلوم فتسارع الأم الى حمل طفلها فور شروعه في البكاء ، وهذا موقف خاطىء يجب الحذر منه ، فقد يكون السبب في بكاء

الطفل حاجته الى تفريغ شحنة من الاضطراب النفسي عن طريق البكاء والصياح . وهذا التفريغ ضرورة للطفل لا غنى له عنها .



ان التجارب غير السارة التي يتعرض لها الطفل بعد ولادته تحمل في طياتها أشد الخطر على مستقبل حياته . غير أن الأم اليقظة تستطيع بسلوكها وتصرفاتها الرقيقة أن تسهم في تجنيب الطفل هذه المخاطر . وبمداومتها على هذا السلوك فانها تساعده على النمو نمواً جسمياً ونفسياً سليماً .

وخلال الأشهر الأولى من الولادة لا يدرك الطفل حقيقة تصرفات أمه ولن يدرك ذلك حتى يصل الى السن التي يميز فيها بين ذاته وبين المحيطين به ، ومن ثم يستطيع الانفصال عن أمه في هذه المرحلة واعتبارها شخصاً مستقلاً عنه ، اذ أن المعوّل عليه في هذه المرحلة هو الصورة العامة للحماية التي تمنحها له الأم والتي تمهد للعناصر الأساسية اللازمة لنمو شخصيته مستقبلاً ومنها : الشعور بالثقة ، والتحكم في الغرائز ومدى تحمل الاحباطات المختلفة في المستقبل .

ان أي شخص يستطيع أن يقدم للطفل الظروف المناسبة لنموه اذا كان لديه الاستعداد لذلك . غير أن فقدان عاطفة الأمومة أو الاسراف في حماية الطفل من شأنه أن يلقي على عاتقه وحده عبء تأمين العبور من حالة التبعية الكاملة الى حالة الاستقلال الذاتي . ومن شأن هذه التجربة القاسية أن ترغمه على بذل مجهود لا يتناسب مع قدراته .

ويمكن تحديد الخصائص الذاتية للوليد بتحديد نمط انفعالاته وردود أفعاله للمنبهات المحيطة به وملاحظة قدرته على التزام الهدوء والنوم المنتظم ومدى اقباله على الرضاعة ، ومدى سرعة انتباهه الى من حوله .

ولا يعتبر الجوع حالة متميزة بالنسبة للطفل ، وانما هو نوع من التوعّك الداخلي ينبه الطفل النائم ويجعله ينخرط في البكاء ، وهو أيضاً حاجة بيولوجية الى الغذاء تسد النقص . ومن هنا تنشأ الأحاسيس الطبيعية الأولى وتمتزج بالأحاسيس النفسية ، ويؤكد ذلك الاحساس بالامتلاء الذي يعقبه الهدوء والاسترخاء العضلي الذي يصحبه بطء في نشاط المخ بعد تناول الغذاء .

والطفل لا يعرف الثدي الا في حالة الجوع ، وان احساسه بوجود الحلمة في فمه يثير حركة الامتصاص لديه كانعكاسات لا ارادية ، فاذا كان قد بكى لفترة طويلة قبل الرضاعة فانه لن يستجيب لوجود الحلمة في فمه ، بل وقد يشعر بالضيق ويحتاج من الأم الى فترة من التنبيه لفمه حتى تعيده الى حركة الرضاعة .

ان ثقة الطفل بأمه هي ثقة كاملة ، واذا اهتزت هذه الثقة يوماً بعد يوم فانه يفقد الاحساس الدائم بذاته ويصبح بذلك عاجزاً عن استيعاب تجاربه في ذاكرته . لذلك كان حليب الأم أفضل من حليب البقر والغنم الطازج والحليب المجفف ، لأنه معقم فهو خال من البكتيريا والجراثيم ، كما يحتوي على النسب المطلوبة من المواد الغذائية وهو سهل الهضم والامتصاص على الوليد لأنه يناسب الخمائر الموجودة في معدته . وتسخين الحليب وغليه لتعقيمه يفقده الكثير من الفيتامينات ، أما حليب الأم فلا يحتاج الى ذلك . وكمية السكر في حليب الأم أكبر من نسبتها في حليب البقر والغنم . كما أن حليب الأم يحتوي على مضادات لبعض الأمراض . وتزيد الرضاعة من الأم عاطفة الحب والحنان بين الأم وطفلها ●

حسن حسن سليمان — عرعر

قصة قصيرة للأطفال

الحبل القصير

بقلم: الأستاذ فاضل السباعي

في المساء ، توسّل « محمود » الى أمه أن تدعه يسهر معهم الليلة ، لكي يشاهد هذه الحلقة من المسلسل التلفزيوني « الخطوات السريعة » ، فان أخته تقص عليه ، في كل مرة ، ما شاهدته هي في الحلقة الماضية ... والآن يود أن يشاهد بنفسه هذه الحلقة ، التي هي الأخيرة في المسلسل !

وختم توسله الى أمه بهذا الوعد :

« صدقيني ، يا أمي ، بأني سأكون ، منذ الآن ، أكثر طاعة لك ولوالدي ولأختي هيفاء ، من كل الأيام السابقة » .

رقّ قلب الأم لولدها الوحيد ، وقالت له :

« أنا موافقة على سهرك الليلة ، يا حبيبي . ولكن عليك أن تستأذن أباك وتحصل على موافقته أيضاً » .

فقال محمود :

« لا ، يا أمي ! كلّميه أنت . فاني أخاف أن يرفض رجائي ، فيسبّب لي حزناً كبيراً » .

فضمته الى صدرها ، وطبعت على خدّه قبلة الحنان .

اقترب موعد عرض الحلقة الأخيرة من المسلسل ، قبل أن يتمكّن محمود من كتابة « وظيفة التعبير » . ولكنه مع ذلك أطبق دفاتره ، ورتبها في محفظته ، ثم جلس بجوار أمه على الديوانة ، وقد غابت عن ذهنه صورة معلمته الحازمة ، التي كانت قد حدّدت لهم يوم غد موعداً « لمشاهدة » هذه الوظيفة .

دخل الأب الغرفة ، فرأى ابنه محمود سهران لم ينم ، ملتصقاً بأمه التصاقاً وكأنه يطلب حمايتها أو وساطتها في أمر . قال ، مقطّب الجبين :

« أرى محمود لم يذهب الى النوم .. حتى الآن ! » .

فقالت الأم مترجمة :

« اسمع ، يا أبا محمود . ان ابننا يرغب في أن يشاهد الحلقة الأخيرة من المسلسل ، الذي جئت أنت الآن لمشاهدته. هل تسمح له بأن يسهر معنا ، هذه الليلة فقط ؟ من جهتي ، أنا موافقة . وقد وعد محمود بأن يكون أكثر طاعة ، منذ هذه اللحظة ! » .

انفرجت أسارير الأب قليلاً ، وهو يسأل ابنه :

« هل انتهيت من كتابة وظائفك وحفظ دروسك ؟ » .

أسرع محمود يجيب : « طبعاً ، طبعاً ! » ، ثم تذكّر « وظيفة التعبير » .. ولكنه طمأن نفسه : سوف أكتبها في سريري ، بعد أن أشاهد الحلقة الأخيرة من المسلسل !

قال الأب :

« طيّب اذا كان الأمر كذلك ، فأنا أيضاً موافق ، على ألا تتكرّر مثل هذه السهرات في المستقبل » .

— اطمئن ، يا أبي . هذه آخر مرة .

• • •

شاهد محمود الحلقة الأخيرة من مسلسل «الخطوات السريعة». وانجذب الى المشاهد العاصفة فيها . وكان يضحك أحياناً ، ويشعر في أحيان أخرى بالخوف على بطل المسلسل من المخاطر التي يتعرض لها . ولكنه شعر بالفرح أخيراً عندما استطاع البطل أن يتغلب على الصعوبات كلها ، وينقذ ابنته من أيدي الأشقياء ، ويعود بها الى أمها المنتظرة على أحرّ من الجمر !

قال الأب :

« هيّا نظّف أسنانك ، يا محمود ، واذهب الى النوم » .

هنا تذكر محمود وظيفة التعبير التي لم يكتبها ، فأحس وكأن سعادته بمشاهدة الحلقة الأخيرة من المسلسل قد ذهبت ،

وحل محلها الغم والكآبة ، ولكنه سرعان ما حدّث نفسه : ولماذا القلق ، سأكتبها الآن في سريري !

وبعد أن نظّف أسنانه ، وقبّل أمه وأباه وأخته الكبرى هيفاء ، تأبط حقيبته .. فسأله أبوه :

« ولماذا تأخذ حقيبتك معك الى غرفة النوم ؟ » .

أجاب محمود :

« حتى أطبّق فيها كتبي ودفاتري ! »

وفي طريقه الى غرفة النوم ، أدرك أنه قد كذب ، هذه الليلة ، على أبيه مرتين .

• • •

شرع محمود في كتابة وظيفة التعبير .

ولكنه لاحظ أن الكلمات لا تأتيه الا بصعوبة . فإن أسعفته الكلمات ، رأى الجملة سقيمة ركيكة .. فيضرب بقلمه على السطر الذي كتبه ، ويعيد التفكير والكتابة .

مزق الورقة التي بين يديه ، بعد أن امتلأت بالجمل السخيفة المضروب عليها بالقلم طولاً وعرضاً . وتناول ورقة أخرى ..

ولكنه ما ان كتب كلمتين في أولها ، حتى شعر أن جفنيه قد ثقلا ، ودبّ في عينيه النعاس ، فما وعى نفسه الا وهو يندس تحت اللحاف ، ثم يغيب في نوم عميق .

رأى محمود ، فيما يرى النائم ، أنه يكتب على دفتر كبير كلاماً كثيراً بلا معنى ، ثم يضرب عليه بالأقلام الحمر والخضر والصفر . وانه حمل هذا الدفتر الكبير ، في صباح اليوم التالي ، الى معلمته ، التي ما ان وقع نظرها على هذا الدفتر العجيب ، المملوء بكلام لا معنى له ، والمضروب عليه بخطوط مختلفة الألوان ، حتى فتحته أمام أعين التلاميذ ، وقالت :

« أنظروا ما فعل زميلكم محمود !



يظهر أنه كتب هذه الصفحات وهو نعسان ! انه يستحق الصفر ، مع استدعاء والده الى المدرسة ، لنسأله كيف يمكن أن يكتب ابنه وهو نعسان أو نائم ؟ ! » .

خاف محمود من المعلمة . وخشي أن تستدعي والده ، الذي سيعرف أن كتابة وظيفة التعبير بهذه الطريقة الغريبة ، كانت بسبب سهره لمشاهدة الحلقة الأخيرة من مسلسل « الخطوات السريعة » ، كما سيعرف أنه كذب عليه في الليل حين أجابه بأنه انتهى من كتابة وظائفه كلها ، وبأنه أخذ حقيبته معه الى غرفة النوم ليطبق فيها كتبه ودفاتره !

ولما صرخت به المعلمة :

« محمود ! أنت لن تأتي صباح غد الى المدرسة ، إلا بصحبة أبيك ! » .

صحا من نومه ، ليرى أخته هيفاء ، وهي تهزه من يده ، وتقول :

« محمود ! استيقظ ، يا محمود ! لقد تأخرت في نومك اليوم كثيراً ! » .

• • •

جلست الأم وهيفاء حول المائدة الصغيرة ، وظل محمود بعيداً عنها . إنه يفكر في وسيلة يتخلص بها من العقوبه التي تنتظره من المعلمة الصارمة بعد قليل .

سألته أمه :

« لماذا لا تقترب من المائدة ، يا محمود ؟ » .

أجاب محمود :

« بطني تؤلمني ! » .

— هل انحسر عنك الغطاء في الليل ، فأخذت برداً يا حبيبي ؟

لم يرد محمود ، بل أخذ يضغط بيده على بطنه ، ليوهم أمه بشدة الألم ، وهو يعرف جيداً أنه يستفتح نهاره بكذبة ثالثة ، بعد كذبتيه الليليتين !

دخل أبوه الغرفة ، فرآه جالساً بعيداً عن المائدة ، فقال :

« لماذا لا تأكل ، يا محمود؟ » .

أجاب محمود ، وقد نسي كذبته الصباحية الأولى :

« رأسي يوجعني ! » .

وادرك أنه ، منذ فكر في مشاهدة الحلقة الأخيرة من ذلك المسلسل ، لم يصبح أكثر طاعة ، بل أكثر كذباً ! !

ظهر الجزع على الأم ، خوفاً على ابنها من الألمين : الألم في البطن ، والوجع في الرأس ! فقامت الى خزانة الأدوية ، وتناولت « ميزان الحرارة » ، ووضعته في فم ابنهـا .

تمنى محمود لو يسجل الميزان حرارة مرتفعة ، حتى تأخذه أمه إلى الطبيب ، بدل أن يذهب الى المدرسة دون وظيفة التعبير ! ولكن ميزان الحرارة ، لسوء حظه ، لم يكن قد تعود على الكذب .

قالت الأم ، وهي تقرأ أرقام الميزان :

« حـرارته طبيعية ! » .

اتجه أبوه اليه يسأله :

« هل نمت ، الليلة ، نوماً هادئاً ، يـا محمود ؟ » .

كذب محمود كذبته الرابعة :

« نعـم ! » .

فكـر الأب قليلاً :

« هل أتممت ، مساء أمس ، كتابة وظائفك وحفـظ دروسك ؟ أصدقني القـول ! » .

لم يستطع محمود أن يتوقف عـن الكذب .. تصور نفسه راكباً دراجة قد تعطلت مكابحها ، فجأة ، وهي تنطلق به في طريق منحدر ، وبصوت خفيض ، ومتقطـع ، أجاب :

« نـ .. عـ .. م ! ! » .

فهزّ الأب رأسه ، وقد حزر ما أراد محمود كتمانه ، قال :

« اقترب من المائدة ، وكل لقمتين ، ثم البس ملابس المدرسـة ، فاني سأصحبك اليها ، في هذا اليوم ! » .

• • •

كان الخوف يتفاقم في صدر محمود ، وأبوه ممسك بيده ، وهمـا في الطريق الى المدرسة .

اشتد خوفه كثيراً ، وقد أصبح الآن خوفاً مقروناً بالخجل : الخجل من أبيه ، ومن المعلمة ، ومن المدير ، عندما يكتشفون بعد قليل ، أنه لم يكتب وظيفة التعبير ، وأنه ظل يكذب على أبيه ، في الليل وفي الصباح ، كذبات لا عدد لها .

انقلب خوف محمود المتفاقم ، فجأة ، الى « جرأة » ، لحظة لاح له عن بعد باب المدرسة ، فقد قال في ذات نفسه : اذا كان الكذب ينجي ، فان الصدق أكثر منجاة ! وحبل الكذب ، مهما طال ، قصيـر !

فما كان منه الا أن شد على يد أبيه ، رافعاً وجهه اليه ، وهو يقول :

« أبي ! أنا ... أنا لم أكتب .. وظيفة التعبيـر ! » .

— أي وظيفـة تعبير !

— المطلوبة مني اليوم ! اني اعتذر لأني .. كذبت ، مساء أمس ، عندما قلت : اني كتبت كل وظائفي !

— ورددت كذبتك مرتين !

— كذبت كثيراً بسبب هذه الغلطة ! حاولت كتابة الوظيفة وأنا في سريري ، فغلبني النوم ، وقد نمت نوماً مزعجاً ، ان ضميري يعذبني كثيراً ، أعدك ، يا أبي ، بأن أكون صادقاً بعد اليوم .

• • •

سلّم المدير على الأب بحرارة ، وكذلك المعلمة ، فهمـا يعرفانه جيداً لصلاته الوثيقة بالمدرسة .

سألهمـا الأب :

« كيف رضـاء الآنسة على ابني محمـود ؟ » .

أجابت المعلمـة :

« محمود من التلاميذ النجباء عندي ، وان كان « كثير الحركة » أحياناً ! » .

قـال الأب :

« جئت اليوم لأعتذر عن .. إن ابني قصّر في كتابة وظيفة التعبير ، ليلة أمس ، بسبب انشغاله ببعض الأمـور العـائلية » .

قـال المدير :

« اذا كان انشغاله يعود الى أسباب يعرفها أبوه ، فأظن أن معلمته تسامحه هذه المرة ، على ألا يتكرر التقصير » .

وفي البيت ، شكر محمود ربه على أن ما شاهده ، ليلة أمس ، مـن مسلسل « الخطوات السريعة » ، كان الحلقـة الأخيرة ، وعلى أنه ليس بعدها من حلقات أخـرى !

وقد حدث ، في هذا ، أخته هيفاء ، ثم حذرهـا قائلاً :

« حين يعرض التلفزيون مسلسلات ، بعد اليوم ، فاياك أن تحدثيني عنها ! ! فان مشاهدتي لحلقة واحدة مـن هذه المسلسلات المشوّقة ، توقعني في « مسلسل » من الأكاذيب ! واذا سلمت اليوم من العقاب ، فلن أسلم في المرة القادمة . والآن ، دعيني أكتب وظائفي قبل أن تحل عتمة المساء ، يا أختاه ! » •

فاضل السباعي — دمشق

قافلة الزيت

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد الحادي عشر المجلد السابع والعشرون

تصدر شهريًا عن شركة ارامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجانًا

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

• جميع المراسلات باسم رئيس التحرير .
• كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبّر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبّر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها .
• تجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر .
• لا تقبل القافلة الا المواضيع التي لم يسبق نشرها .

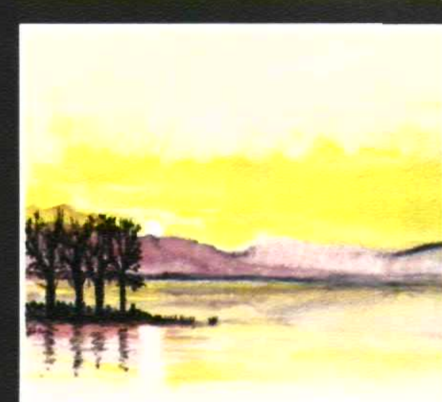
المدير العام : فيصل محمد البسام • المدير المسئول : إسماعيل إبراهيم نواب • رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي • المحرر المساعد : عوني أبو كشك

١٠



٦

١٨



١٥



٤٦



٣٦

التعليق على صورة الغلاف : ملسون » دمية في شكل ببغاء ذكي ذات شخصية مميزة في برنامج « افتح ياسمسم » وهو مسلسل تعليمي سيعرض قريبا في مختلف محطات الخليج والعالم العربي . وقد جرى انتاجه وتصويره



«نعمان» آدمي في شكل دمية على هيئة طائر كبير وقد جاء صديقه «ملسون» وهو دمية أيضاً، لزيارته. وسيتمتع الأطفال في العالم العربي بالكثير من مغامرات هاتين الشخصيتين في «افتح يا سمسم».